

الاتحاد الاشتراكى العربى
امانة الفكر والدعوة والشئون الدينية
المعهد العالى للدراسات القومية والاشتراكية

دراسات في القومية العربية

(٣) الحركة القومية العربية

الدكتور صوفى أبو طالب

١٩٧٤

اهداءات ١٩٩٦

د/ محمد محمد الجوادي
مدرس القلب بطب الزقازيق



الاتحاد الاشتراكى العربى
أمانة الفكر والدعوة والشئون الدينية
المعهد العالى للدراسات القومية والاشتراكية

دراسات في القومية العربية

(٣) الحركة القومية العربية

الدكتور صوفي أبو طالب

١٩٧٤

تمهيـــد

مراحل تطور حركة القومية العربية :

من الصعوبة بمكان تحديد تاريخ بداية الحركة القومية العربية بالنظر لاختلاف الظروف السياسية والاقتصادية فى أقاليم الأمة العربية نتيجة وقوع القسم الأفريقى فى قبضة الاستعمار الأوربى خلال القرن التاسع عشر بينما ظل القسم الآسيوى تابعا للدولة العثمانية حتى الحرب العالمية الأولى ثم خضع بعدها للاستعمار الأوربى . ومن ناحية أخرى اختلف البـاحثون حـول تكييف الحركات السياسية التى ظهرت فى الوطن العربى خلال القرن التاسع عشر ، فالبعض يصفها بأنها حركات قوميـة بينما يصفها البعض الآخر بأنها مجرد حركات سياسية تنقصها بعض مقـومات الحركات القومية . ولكن جميع الباحثين يسلمون بأن بداية القرن التاسع عشر ، وبالتحديد حملة نابليـون على مصر ، كانت بداية انتفاضة بعض أجزاء الوطن العربى نحو بناء الدولة العصرية من ناحية ، وبداية استيقاظ الشعور الوطنى الذى تحول فيما بعد الى شعور قومى من ناحية ثانية ، وبداية يقظة فكرية مهدت للفكر القومى من ناحية ثالثة .

وقد أختلف مسار الحركة القومية فى البلاد العربية تبعـا لظروف أقاليمها المختلفة ومدى نمو الوعى القومى فى كل منها ، ونتيجة لذلك اختلفت أهداف الحركات السـياسية والوطنية وأولويات هذه الأهداف . ولم يتبلور الفكر القومى وتتحـدد أهدافه الا بعد حصول الدول العربية على استقلالها قبيل الحرب العالمية الثانية وبعدها .

والاتجاه الغالب بين الباحثين يقسم مسيرة الحركة القومية الى ثلاث مراحل : تبدأ أولاها ببداية القرن التاسع عشر وتنتهى بالحرب العالمية الأولى ، وهى مرحلة اليقظة الفكرية العربية ، وفيها ظهرت طلائع الفكر القومى . والمرحلة الثانية تمتـد من الحرب العالمية الأولى حتى الحرب العالمية الثانية . وفى بداية هذه المرحلة اختمرت فكرة الوحدة العربية وعبرت عن ذاتها بمحاولة اقامة دولة عربية واحدة تضم كل القسم الآسيوى من العـالم العربى غير أنها منيت بالفشـل . واتسمت حركة الفومية العربية بعد ذلك بسكون الوعى القومى العربى وظهور النزعات الاقليمية المحلية نتيجة لتمزق الكيان العربى وتفتته الى وحدات سياسية صغيرة انشغلت كل منها بقضاياها المحلية وعلى رأسها الحصول على الاسـتقلال . أما المرحلة الثـالثة فتميزت باكتمال الوعى القومى والتسليم بضرورة قيام الوحدة السياسية العربية . وخلال هذه المرحلة الأخيرة تذبذب الرأى ما بين وحدة ذات مضمون ديمقراطى سياسى على غرار الحركات القومية الأوربيـة ، وبين

وحدة ذات مضمون ديمقراطى اجتماعى على غرار الحـركات القومية فى البلاد النامية . واختلف الرأى أيضا حول أسلوب تحقيق هذه الوحدة .

خصائص الحركة القومية العربية : تميزت الحـركة القومية العربية بعدة خصـائص تقربها من بعض الوجوه من الحركات القومية الأوربية وتقربها من نواح أخرى من الحركات القومية فى البلاد النامية . فهى تتشـابه مع حركتى القوميتين الألمـانية والايطالية من حيث أنها تهدف الى تجميع شـتات الأمة العربية المجزأة سياسيا فى دولة واحدة . وهى تتشابه مع الحركة القومية فى البلقان فى أنها فى بعض مراحلها طالبت بالانفصال عن الدولة العثمانية . وهى تتشابه مع الحركات القومية فى البلاد النـامية من حيث أنها تستهدف الخلاص من التبعية للاستعمار الأوربى والحفاظ على استقلالها السياسى والاقتصادى فضلا عن اهتمامها بالديمقراطية الاجتماعية بجانب الديمقراطية السياسية .

المبحث الأول

المرحلة الأولى : انبعاث العالم العربى

شهد القرن التاسع عشر عدة انتفاضات هزت كيان العـالم العربى وأيقظته من ركوده . وتمخضت هذه الانتفاضـات عن الاتجاه نحو بناء الدولة العصرية واحياء التراث العربى والأخذ بالأفكار الأوربية عن الديمقراطية والقومية مما أدى الى ظهور

وعى قومى بين أبناء الأمة العربية أخذ ينمو باطراد . وقد اختلف أثر هـذا البعث باختلاف الأقاليم ، وكذلك اختلفت اتجاهات الوعى القومى باختلاف الظروف الاقليمية . وسنعرض فى هذا المبحث لليقظة الفكرية ثم ندرس طلائع الوعى القومى واتجاهاته .

١ ـ اليقظة الفكرية

ركود العالم العربى واستعماره :

كانت أوربا منذ القرن السادس عشر تموج بحركات الاصلاح الدينى والدستورى وتنصهر فيها التيارات الفكرية الجديدة عن الديمقراطية والقومية ، وتنضج فيها مذاهب سياسـية وفكرية بدأت بالحركات الفكرية ذات النزعة الانسانية وانتهت بالحركة الرومانسية . وفى المجال الاقتصادى خرجت أوربا من النظـام الاقطاعى واتجهت الى الاقتصاد التجارى ثم الى الاقتصاد الحر (الرأسمالى) . وفى مجال العلوم تعـددت الكشوف العلمية والمخترعات ، انطلاقا من المؤلفـات العربية المترجمة ، ونشطت حركة الاكتشاف الجغرافى فاكتشفت أمريكا وطريق رأس الرجاء الصالح فنشطت التجارة وظهرت الطبقة الوسطى . بينما كل ذلك يجـرى فى أوربا كان الشرق العـربى يغط فى نوم عميق ويعيش فى عزلة عما يجرى حوله فى العالم حتى استيقظ على صوت مدافع نابليون أثناء حملته على مصر ، عام ١٧٩٨ .

وقد حاول الباحثون تقصى أسباب ركود العالم العربى ، والعالم الاسلامى بصفة عامة ، وانتهوا الى القول بوجود عدة أسباب تضافرت فى تجميد الحضارة العربية واصابتها بالعقم . وقد بدأت حالة الركود الحضارى منذ القرن الثالث عشر الميلادى وبلغت ذروتها باستيلاء الأتراك على السلطة باسم الخلافة العثمانية فى مستهل القرن السادس عشر . وترجع أهم أسباب الركود الى :

١ ـ **تجزئة العالم الاسلامى وتفتته السياسى** : بدأ التنافس بين الحكام العرب على حكم الدولة الاسلامية الكبرى منذ القرن العاشر الميلادى ، وتمكن بعض الولاة الطموحين من الاستقلال بالأقاليم النائية عن الخلافة فى بغداد . وتطور الأمر الى استقلال بعض البيوت العربية بحكم بعض الأقاليم واعلان الخلافة فيها بجانب خلافة بغداد :

فمنذ مستهل القرن العاشر الميلادى انقسم العالم الاسلامى الى ثلاثة أقسام فى كل منها خليفة للمسلمين : الخلافة الأموية فى الأندلس (تأسست عام ٣٥٠ هـ ٩٦١ م . وبدأت تتداعى بسقوط طليطلة عام ١٠٥٨ ثم قرطبة ١٢٣٦ ثم أشبيلية عام ١٢٤٨ وسقطت غرناطة ــ آخر معاقل المسلمين ــ عام ١٤٩٢) والخلافة الفاطمية فى شمال أفريقية ثم فى مصر (تأسست فى شمال افريقية عام ٢٩٧ هـ ٩٠٩ م . وانتقلت الى مصر عام ٣٥٨ هـ ثم سقطت فى منتصف القرن السادس الهجرى) . الخلافة العباسية

فى بغداد (تأسست فى منتصف القرن الثانى الهجرى وسقطت بسقوط بغداد فى يد هولاكو التتارى عام ٦٥٦ هـ ــ ١٢٥٨ م).

وكان هذا الانقسام بداية تفتيت العالم الاسلامى ، فقد تمكنت العناصر غير العربية من المسلمين (تتار ومغول وأتراك) من الاستيلاء على مقاليد السلطة واقامة دويلات على انقاض الخلافات الثلاث . فقامت دولة السلاجقة فى العراق . المرابطون ثم الموحدون فى المغرب ، الأيوبيون فى مصر والشام (٥٦٧ ــ ٦٤٨ هـ والمماليك من بعدهم (٦٤٨ ــ ٩٢٢ هـ) وانتهى الأمر بخضوع كل البلاد العربية ــ باستثناء مراكش ــ لحكم الأتراك فى الآستانة باسم الخلافة العثمانية . وكل هؤلاء الحكام كانوا من غير العرب . وبالرغم من غيرتهم على الاسلام ودفاعهم عنه ، الا أنهم كانوا يجهلون روح الاسلام فضلا عن كونهم ليسوا أهل حضارة بل أمما عسكرية فى المقام الأول فعجزوا عن ازكاء حيوية الحضارة العربية وعجزوا عن ابداع حضارة جديدة وانصرفوا الى التمسك بالمظاهر الدينية ونشرها بين الناس . ولذلك ظلت قوة الدول الاسلامية رهينة بقوتهم العسكرية ، وأهمل الناس الأمور الدنيوية وانصرفوا ــ بتشجيع من هؤلاء الحكام ــ الى الأمور الدينية ذلك ان الرابطة الوحيدة التى كانت تربط الشعوب العربية بهؤلاء الحكام من التتار والأتراك هى رابطة الدين .

٢ ــ **الحروب الصليبية والمغولية :** أغرى ضعف الخلافة العباسية فى بغداد ــ نتيجة لتفشى نفوذ العناصر غير العربية

وتسلطها على الحكم — الشعوب الأوربيـة المسيحية من ناحية والمغول الوثنيين من ناحية ثانية فشنت عليها الحروب . وتوالت الحملات الصليبية على الشام منذ القرن الحادى عشر ، واجتاح المغول بغداد فسقطت فى أيديهم عام ١٢٥٨ وسقطت دمشق عام ١٢٦٠ . ولكن المسلمين — بزعامة صـلاح الدين الأيوبى — تمكنوا من صد هذه الهجمات واخراج كل من الصليبيين والمغول من الوطن العربى . ومن أشهر المعـارك معركة عين جالوت ، بالقرب من طبرية عام ١٢٦٠ . ومعركة قريبة من دمشق عام ١٣٠٢ وكلتاهما كانت معركة فاصلة . وهذه الحروب أضعفت العـالم الاسلامى .

٣ — تحول طرق التجارة : زاد من ضعف العالم الاسلامى افلات طرق التجارة الدولية من أيديهم بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح فى أواخر القرن الخامس عشر . وقد أدى ذلك الى انطواء العالم العربى على نفسه وتحول اقتصاده القائم على التجارة الى اقتصاد زراعى متخلف .

كل العوامل سالفة الذكر أدت الى ضعف العالم الاسلامى وجمود حضارته . وزاد الطين بلة استيلاء الأتراك على السلطة فى كل العالم العربى باسم الخلافة الاسلامية ، وهم لم يكونوا أهل حضارة . ومن مظاهر ركود الحضـارة العربية قفل باب الاجتهاد منذ القرن الرابع الهجرى مما أدى الى قتل روح التجديد وتفشى التقليد والاعتماد على مؤلفات وآراء السابقين . ولمـا

كانت رابطة الدين الاسلامى هى التى تربط بين الحكام الأتراك وغيرهم بالشعوب العربية فان الحكام اكتفوا بالاهتمام بالعلوم الدينيـــة وانصرفوا عن الاهتمـــام بالعلوم الدنيوية كالطبيعة والكيميـــاء والفلسفة .. الخ . فانتشرت البـــدع والخزعبلات والخرافات بين الناس . ومن الناحية السياسية استسلم النـــاس للدعة وانصرفوا الى كسب قوتهم تاركين الأمور العامة لحكامهم وولاتهم ، فأصبح صلاح أمرهم أو فساده رهين بصلاح أو فساد حاكمهم ، فعم الفساد فى الدولة وانتشرت الرشوة وتفشى الجهل والأمية بين الناس . كل ذلك حدث فى وقت انطلاق الحضـــارة الأوربية نحو البناء واكتشاف المجهول من العالم فزادت الهوة بين الشرق العربى وأوربا وانتهى الأمر بوقوع العالم العربى فى قبضة الاستعمار الأوربى .

الاســـــتعمار : ظهر الاستعمار بظهور نظام الدولة الاقليمية فى أوربا ، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وانتهاجها سياسة الاقتصاد التجارى ثم الاقتصـــاد الحر مما دفع الدول الأوربية الى استعمار الشعوب الأخرى طلبا للاسواق التجارية أو سعيا وراء المواد الأولية . وقد ازدادت ضراوته منذ منتصف القرن التاسع عشر بعد الثورة الصناعية وما أدت اليه من ظهور الشركات الكبرى والاحتكارات العالمية واتساع حركة التجارة الدولية وتكدس الأموال فى المصـــارف الأوربية بعـــد نهب المستعمرات وأطراد تزايد عدد سكان القارة الأوربية . كل ذلك

دعا الدول الأوربية الى التنافس فى استعمار الشعوب الافريقية والآسيوية فى سبيل الاستئثار بموارد الثروة والأسواق التجارية واحتلال الجزر والممرات البرية والبحرية التى تتحكم فى طرق المواصلات العالمية . ولتحقيق هـــذه الغـــايات لجأت الدول الاستعمارية الى توطين بعض أبنائها فى المســتعمرات ، واقامة قواعد عسكرية بها ، وتغيير نظامها الاقتصادى بحيث يصـــبح تابعا وخادما لاقتصاد الدول المستعمرة والابقاء على حالة التخلف والحيلولة دون أى تقدم صناعى بها ، ونشر الثقافة الأوربيـــة والقضاء على المقومات الذاتية للشعوب كاللغة والثقافة وغيرهما . وبالاختصار ربط الشعوب المستعمرة بعجلة الدولة المســتعمرة سياسيا واقتصاديا وعسكريا وفكريا وحضاريا مع الحيلولة دون تقـــدمها .

وقد ظهر التنافس على أشده بين فرنسا وانجلترا فى استعمار المنطقة العربية بعد أن ضعفت الدولة العثمانية منذ أوائل القرن التاسع عشر . فاحتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠ وضـــمتها الى الأراضى الفرنسية بقانون ١٨٤٨ وفرضت حمايتها على تونس عام ١٨٨١ وعلى مراكش عام ١٩١٢ . واستأثرت انجلترا بوادى النيل (مصر والســـودان) عام ١٨٨٢ . واحتلت ايطاليـــا برقة وطرابلس عام ١٩١١ .وبمقتضى الـــوفاق الـــودى بين انجلترا وفرنسا ١٩٠٤ بتقسيم مناطق النفوذ بينهما فى البحر الأبيض المتوسط أطلقت كل منهما يد الأخرى فى المناطق التى تحتلها . ولم

يقتصر الأمر على القسم الافريقى من العالم العربى بل تجاوزه الى أطراف الجزيرة العربية فقد خضعت كل من عدن والمشيخات والسلطنات والامارات فى جنوب الجزيرة العربية وعلى الخليج العربى لحماية انجلترا . وبعد الحرب العالمية الأولى انتهت الدولة العثمانية بمقتضى معاهدة فرساى ۱۹۱۹ وقسمت أراضيها العربية بين انجلترا وفرنسا تحت اسم الانتداب ، فاختصت انجلترا بالانتداب على فلسطين والعراق والأردن واختصت فرنسا بالانتداب على سوريا ولبنان .

وبذلك تقطعت أوصال العالم العربى بخلق هذه الكيانات السياسية الهزيلة ورسم حدود سياسية مصطنعة لها ، وظهرت فى كل منها أوضاع سياسية واقتصادية ترتبط بالدولة المستعمرة .

عوامل اليقظة الفكرية :

ان ركود العالم العربى الذى انتهى بوقوعه فى قبضة الاستعمار لم يكن ايذانا باندثار الحضارة العربية وجفاف عصارتها واختفاء العرب من على مسرح الحضارة ، بل كان أمرا عارضا يصيب كل الحضارات الأصيلة فى بعض أدوار نموها . فرغم امتداد فترة الركود بضعة قرون فان الحضارة العربية مازالت تنبض بالحياة ومازالت بعض عناصرها قادرة على النمو والتطور . وقد أدرك العرب منذ أوائل القرن التاسع عشر أن ضعفهم وتوقف نمو حضارتهم يرجع بصفة أساسية الى تفرق شملهم وتسلط الأتراك والاستعمار على مصيرهم ، فما أن تهيأت لهم الظروف حتى هبوا من غفوتهم يدافعون عن كيانهم العربى وحضارتهم

العربية فى وجه كل من الدولة العثمانية والـدول الاستعمارية الأوربية . والعوامل التى أسهمت ، بطريق مباشر أو غير مباشر فى ايقاظ الوعى العربى يرجع بعضها الى أسباب داخلية ويرجع بعضها الآخر الى أسباب خارجية وهاكم أهم هذه العوامل :

١ ـ حركات اصـلاح داخليـة : كانت طبيعـة البـلاد الصحراوية فى الجزيرة العربية وعدم اتصال أهلها بالعالم الخارجى وما يعج به من أفكار ذات أثر هام فى طبيعة حركات الاصلاح التى ظهرت فيها . وأول حركة فى العالم العربى هزت كيانه وأيقظته من سباته ظهرت فى نجد فى قلب الجزيرة العربية على يد محمد بن عبد الوهاب (ولد فى العنيبية عام ١٧٠٣) . وتتمثل دعوته فى وجوب العودة بالاسلام الى طبيعته الأولى وتخليصه مما علق به من بدع وطقوس وخرافات على يد المغول والأتراك والبعد عن الترف ومحاربة الموبقات والابتعاد عن الظلم وترك أساليب الحضارة التى وفدت عن طريق الأوربيين .

ولقد لقيت دعوته استجابة من الناس فى الجزيرة ومن حكام نجد آل سعود الذين تبنوها ابتداء من حكم محمد بن سعود عام ١٧٤٧ . وأصبحت الوهابية مذهبا اعتمد عليه السعوديون فى نشر سلطانهم فى الجزيرة العربية .

وكانت هـذه الدعوة ـ رغم طابعها الدينى البحت ـ أول صوت عربى يرتفع بالمطالبة بالاصلاح ويطالب باعادة السلطان الى العرب . ومع أن الحكومة العثمانية أخمدت الحركة بمعاونة

والى مصر محمد على باشا الا أنها أثرت بطريق غير مباشر فى تنمية الشعور العربى وهز كيان العالم العربى فضلا عن أن آل سعود اعتمدوا عليها فيما بعد فى جمع شمل الجزيرة العربيةتحت سلطانهم ، وما زال المذهب الوهابى هو المذهب الرئيسى فى الدولة السعودية حتى الآن .

وظهرت دعوة شبيهة فى شمال افريقية الصحراوى بزعامة محمد السنوسى . وقد درس علوم الدين والحكمة فى « فاس »، وأسس حركته فى ليبيا وطاف فى شمال أفريقية يدعو الى العودة الى الاسلام فى بساطته وسماحته ونبذ ما دخل عليه من بدع . واتخذ من « الزاوية » منبرا يدعو منه لفكرته ، وعمم الزوايا فى البلاد . وبعد وفاته عام ١٨٥٩ خلفه ابنه الأصغر فى نشر الدعوة .

وتتميز السنوسية ــ فضلا عن الاعتماد على الاسلام خاليا مما علق به من بدع ــ بالدعوة الى تحرير العالم الاسلامى من التسلط الأوربى وجمع شمل المسلمين فى وحدة سياسية هى « الجامعة الاسلامية » تكون زعامتها للعرب وليس للعثمانيين . وتتطلب لتحقيق رسالتها رفع المستوى المادى للسكان وانماء حركة التجارة وتعميم الزوايا والمدارس .

وقد انتشرت تعاليم السنوسية فى شمال افريقية ودخلت الى الجزيرة العربية وبعض مناطق فى افريقية مثل الصومال فضلا عن أنها أسهمت فى هز كيان العالم العربى .

وفى منتصف القرن التاسع عشر ظهرت حركة مماثلة فى السودان هى « المهدية » تنادى بالعودة بالاسلام الى بساطته الأولى وطرد الأوربيين الدخلاء ورفض حضارتهم . وقد فشلت الحركة سياسيا بعد أن جهزت انجلترا جيشا مصريا أعاد فتح السودان واحتلاله باسم الحكم الثنائى (مصرى — بريطانى) عام ١٨٩٩ ، وبالرغم من هزيمتها العسكرية فانها حركت روح العالم العربى ضد الاستعمار الأوربى وأهابت بالعرب أن يهبوا من رقادهم .

٢ ـ اتصال العالم العربى بالفكر الأوربى : تميز القرن التاسع عشر بظاهرة جديدة فى العالم العربى هى اتصاله بالفكر الأوربى . غير أن هذا الاتصال اقتصر على بعض الأقاليم دون البعض الآخر . فالجزيرة العربية والسودان ظلت كلتاهما بعيدة عن هذا الاتصال . أما بقية العالم العربى فقد اتصل بأوربا بدرجات متفاوتة ولذلك اختلف أثر الفكر الأوربى من بلد الى آخر . فالاحتلال الفرنسى لشمال افريقية أثار لدى سكانه رد فعل ضد الاستعمار وحضارته فنمت لديهم فكرة الجامعة الاسلامية . أما فى مصر والمشرق العربى فكان للاتصال بأوربا أثر هام تمثل فى تجديد بناء المجتمع من ناحية وايقاظ الشعور القومى وتنميته من ناحية ثانية . وقد حدث الاتصال بأوربا عن طريق الحملة الفرنسية على مصر ، وعن طريق حملة ابراهيم باشا على الشام

وكذلك عن طريق المدارس التبشيرية ، وأخيرا عن طريق الآستانة ذاتهـا .

(أ) الحملة الفرنسية على مصر : كان لحملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨ أثر بالغ الأهمية فى حيـاتها رغم أنها لم تستمر سوى ثلاث سنوات . فالمنشورات التى وزعها نابليون على السكان حفلت بأمجاد المصريين وأثارت فيهم نزعات الحرية والمساواة ، الأمر الذى أهاج شعورهم ضد المماليك الذين كانوا يحكمونها باسم السلطان العثمانى . غير أن ما ارتكبه جنــود نابليون من أعمال وحشية واعتداء على كرامة الأفراد ومقدســاتهم أثار فى المصريين روح الكراهية للاحتلال الأجنبى وعمل على دفع الناس الى التضامن فى مقاومة هذا الاحتلال ، فكانت هذه المقاومة هى نواة انبعاث الروح الوطنية فى مصر . وتجلت الروح الوطنيــة المصرية فى مظهرين أساسيين : التكاتف على طــرد الفرنسيين ، اقامة نظــام الحــكم عــلى الأسس والمبــادىء الاســلامية . وبعد أن تم جلاء الفرنسيين ظهرت هذه الروح فى ثورة المصريين ضد الوالى التركى ، وقاد هذه الثورة العلماء المسلمون ، بزعامة عمر مكرم ، الذين طالبوا بأن يكون حكم مصر موافقا لتعاليم الاسلام ومبادئه ، فاشترطوا أن يكون الحكم بمقتضى الشريعــة الاسلامية وما تنطوى عليه من شورى وبعد عن الظلم ، وحــق الشعب فى عزل الوالى الذى يخرج على هذه المبادىء . وقــد أسفرت هذه الثورة عن اختيار هؤلاء الزعماء لمحمد على ليكون واليا عليهم واضطر السلطان الى اقرار هذا الاختيار . وكان من

أهم آثار الحملة الفرنسية التى ظلت قائمة حتى بعد جلاء الفرنسيين هى التجديد الذى حدث فى المجتمع المصرى والاتجاه نحو بناء الدولة العصرية . فقد نظم نابليون الدواوين وأدخل أسلوب الادارة الحديثة ، وأشرك المصريين فى الحكم وأنشأ مجمعا علميا — على غرار المجمع العلمى الفرنسى — يبحث فى أمور الصناعة ويهتم بدراسة علوم الطبيعة والكيمياء فضلا عن التاريخ والأدب ، وأنشأ مطبعتين باللغتين العربية والفرنسية ، وأصدر جريدة باللغة الفرنسية .

وقد اعتمد محمد على على العلماء الفرنسيين الذين بقوا فى مصر بعد الحملة الفرنسية وعلى غيرهم من العلماء الأوربيين فى اقامة الدولة العصرية فى مصر . فجدد بناء المجتمع المصرى فكريا واقتصاديا . فأنشأ المدارس المدنية وأوفد البعوث الى أوربا وأقام دورا للصناعة ومجالس للبحوث العلمية ، ووضع كل صور النشاط الاقتصادى تحت اشراف الدولة فأصبحت كل الأراضى الزراعية ملكا للدولة التى احتكرت أيضا التجارة والصناعة . غير أن حكمه كان حكما استبداديا فاندمجت الدولة فى شخصه على غرار ما كان عليه الحال فى أوربا قبل الثورة الفرنسية . وظهرت آثار التجديد الفكرى فى ظهور مجموعة من العلماء الذين هضموا الثقافة الأوربية فضلا عن تمكنهم من الثقافة الاسلامية . وقد حاول هؤلاء التوفيق والتأليف بين الفكر السياسى الديمقراطى الأوربى والفكر الاسلامى ، فنشروا الآراء المتعلقة بالحرية

والمساواة والعدالة .. الخ . وقربوها من المبادىء الاسلامية مثل مبادىء الشورى والبعد عن الظلم .. الخ . وقد أصبحت هذه الأفكار جزءا من التقاليد السياسية العربية منذ ذلك الحين . وعلى رأس هؤلاء العلماء يبرز اسم رفاعة الطهطاوى .

(ب) حملة ابراهيم باشا على الشام والبعثات التبشيرية به :

كان ضعف الدولة العثمانية من ناحية وطموح محمد على من ناحية ثانية من أهم أسباب اتجاه محمد على وابنه ابراهيم الى اقامة دولة عربية تشمل العرب الداخلين فى الدولة العثمانية . وتنفيذا لهذه السياسة قاد ابراهيم باشا حملته على الشام وضمها الى سلطانه عام ١٨٣٢ . ووزع أثناء حملته منشورات تثير السكان ضد الدولة العثمانية . وتذكرهم بماضى العروبة المجيد وتستثير فيهم النخوة العربية والاحساس بالذات العربية . وكان هذا الاحساس هو نواة الفكرة العربية التى أخذت تكتمل فيما بعد . وامتدت حركة تجديد المجتمع وبناء الدولة العصرية الى الشام ، بعد ضمه الى مصر ، فأعيد تنظيم الادارة وأرسلت البعوث الى أوربا وحدث احياء للتراث العربى وعمت المساواة بين المسيحيين والمسلمين فى الدولة . وكان من أهم آثار حملة ابراهيم باشا التى بقيت بعد عودة البلاد الى الحكم العثمانى تنمية الشعور بالكيان العربى داخل الدولة العثمانية واحياء التراث والثقافة العربية فضلا عن نشر المبادىء الديمقراطية فى الحرية والمساواة المأخوذة عن الفكر الغربى .

وقد أسهمت البعثات التبشيرية الأوربية — بطريق مباشر أحيانا وبطريق غير مباشر فى معظم الأحيان — فى تنمية الشعور بالكيان العربى واحياء التراث العربى واكمال البناء الفكرى الذى بدأ فى عهد ابراهيم باشا . وقد تكاثرت البعثات التبشيرية فى الشام بعد ضعف الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر وازدياد الصلات التجارية معها . فقد قامت سياسة الدولة العثمانية — تطبيقا لمبادىء الشريعة الاسلامية — على التسامح مع الأقليات الدينية داخل الدولة ومنح امتيازات تجارية لرعايا الدول الأجنبية . ومع الزمن ، وخاصة منذ ضعف الدولة العثمانية فى أوائل القرن التاسع عشر ، تعقدت مسألة الأقليات الدينية وأصبح لكل طائفة منها كيان ذاتى داخل الدولة وأصبحت الامتيازات الأجنبية التى بنيت على أسباب تجارية وسيلة لتدخل الدول الأجنبية فى أمور الدولة العثمانية بزعم حماية الأقليات الدينية من ناحية وحماية الأجانب من ناحية أخرى ، وخروج هؤلاء وأولئك على سلطان الدولة العثمانية وتمتعهم بحماية بعض الدول الأجنبية القوية مثل فرنسا وانجلترا . وقد استغلت البعثات التبشيرية هذا الوضع وتنافست فى نشر ثقافتها ونفوذ دولها فى الشام تمهيدا لاستعمارها واقتطاعها من الدولة العثمانية . وكان من أشهرها البعثات الكاثوليكية والبعثات البرتستانتية . وقد بلغ التنافس ذروته فى بيروت حيث أنشئت الكلية الانجلية عام ١٨٧٦ (أصبحت الجامعة الأمريكية فيما بعد) ونقلت اليها المدرسة اليسوعية (الفرنسية) عام ١٨٧٤ (أصبحت الجامعة اليسوعية فيما بعد) .

وكان من أهم آثار البعثات التبشيرية احياء التراث الثقافى العربى ونشر الثقافة الأوربية ومن ضمنها المبادىء الديمقراطية عن السيادة الشعبية والحرية والمساواة . فظهرت فئة من خريجى هذه المدارس التبشيرية جمعت بين الثقافتين العربية والأوربية وقامت بنشر هاتين الثقافتين وتزعمت حركة العلم والأدب ، وعلى رأسهم نجد بطرس البستانى وأحمد فارس الشدياق ونصيف اليازجى . وقد أدت هذه الحركة الأدبية والعلمية الى ظهور وتنمية الوعى بالذات العربية فضلا عن تجدد بناء المجتمع .

(ج) الحركة الدستورية فى تركيا : لم يقتصر الاتصال بالفكر الأوربى على مصر والشام بل حدث أيضا ــ فى وقت متأخر نسبيا ــ فى تركيا ذاتها . فبعد حروب القرم بين الدولة العثمانية وروسيا انعقد مؤتمر فى باريس عام ١٨٥٦ قرر قبول الدولة العثمانية عضوا فى الجماعة الدولية بشرط قيامها باصلاحات ادارية ودستورية تتبنى النظم الحديثة . وتزعم حركة الاصلاح مدحت باشا ، الصدر الأعظم للدولة العثمانية . وبالفعل أصدر السلطان عبد الحميد دستورا عام ١٨٧٦ يأخذ بالنظام البرلمانى فى ظل الحكم الملكى ، ولكنه سرعان ما حل البرلمان بعد سنتين وعاد الحكم استبداديا كما كان . ومع ذلك ظل السكان من أتراك وعرب وغيرهم يلحون فى اعادة الدستور والحياة النيابية ، فقامت عدة ثورات انتهت بارغام السلطان على اعادة الدستور عام ١٩٠٨ ثم خلعه من الحكم عام ١٩٠٩ .

٢ ـ طلائع الوعى القومى واتجاهاته السياسية

اتجاهاته : كان لليقظة الفكرية سالفة الذكر أثرها الحاسم فى اشراق الوعى القومى على يد المثقفين ، الذين جمعوا بين الثقافتين الاسلامية (العربية) والأوربية ، فتزعموا الحركة القومية ونشروا الأفكار القوميـــة بين الناس ! وتبلور الوعى القومى فى اتجاهين رئيسيين : الجامعة الاسلامية ، الوحدة العربية . وانتشر الاتجاه الأول فى مصر وشمال افريقية حيث الاســتعمار الأوربى ، أما الاتجاه الثانى فقد بدأ فى الشام ثم عم المشرق العربى والجزيرة العربية . ويرجع هذا الاختلاف الى الظروف الخاصة بالبلاد التى ساد فيها كل من الاتجاهين . ففى المشرق العربى قاسى الناس من الاستبداد التركى ونشطت فيه الأقليات المسيحية فكان الخلاص فى نظرهم يتمثل فى وحدة عربية تستقل عن الحكم العثمانى . أما فى مصر وشمال افريقية فان الناس كانوا يقاسون من الاستعمار الأوربى الذى عمل على اضعاف الحضارة الاسلامية والقضـــاء عليها فكان الخلاص فى نظرهم هو تكوين جامعة اسلامية قوية . وكلا الاتجاهين ظهر لدى الفئات المثقفة أما سواد الناس فانهم لم يشاركوا فى هذه الأفكار ولم ينفعلوا بها بالنظر لضعف الوعى السياسى لديهم .

اولا ـ الجامعة الاسلامية

ظهور الفكرة وتطورها : كانت الحركة الوهابية فى الجزيرة العربية هى نواة فكرة الجامعة الاسلامية . غير أن هذه الحركة

لم تهتم بالجانب السياسى للفكرة الاسلامية قدر اهتمامها بالجانب الحضارى وخاصة الناحية الدينية . فهى قد ركزت اهتمامها على العودة الى الاسلام فى بساطته الأولى والاعتماد على القرآن الكريم فى تنظيم أمور المسلمين وتضمنت بطريق غير مباشر وحدة العالم الاسلامى كله وعقد لواء زعامته للعرب . وقد تلاقت معها الحركة المهدية فى هذا الاتجاه مع أن الوهابية ظهرت كوسيلة لاصلاح حال المجتمع الاسلامى وتقويته دون أن تكون قد احتكت بأى مؤثر خارجى ، أما المهدية فهى قد ظهرت كوسيلة لاصلاح المجتمع الاسلامى وفى نفس الوقت وسيلة للدفاع عن الحضارة الاسلامية والكيان الاسلامى فى مواجهة الاستعمار الأوربى والحضارة الأوربية . وقد تلاقت الحركة السنوسية معهما فى ضرورة تنقية الاسلام مما لحقه من بدع والعودة الى طبيعته الأولى ، وتلاقت مع المهدية فى الاعتماد على الاسلام كوسيلة للتحرر من الاستعمار الأوربى والحضارة الأوربية ، ولكنها تميزت على الحركتين فى أنها تكلمت صراحة عن نظام الحكم وطالبت بجامعة اسلامية تكون الزعامة فيها للعرب وأنكرت الزعامة على العثمانيين . ويجمع بين هذه الحركات الثلاث أنها ترفض استعارة أى نظام أوربى وترى أن فى الاسلام من العناصر الحضارية ما يفى بحاجة المجتمع . ولعل هذه الحركات تأثرت بالبيئة التى ظهرت فيها حيث الحياة بسيطة وحيث يكاد ينعدم

الاتصال بالفكر الأوربى وما يسوده من تقدم حضارى فضــلا عن أن زعماءها لم يتصلوا اطلاقا بالثقافة الأوربية .

ثم تطورت فكرة الجامعة الاســلامية فى مصر حيث الأزهر الشريف وعلى يد بعض أنصارها فى الشام . ومن المسلم أن جمال الدين الأفغانى (ولد ١٨٢٨ وظهرت دعوته فى بلاد الأفغــان عام ١٨٥٠ ثم انتقل الى الهند ثم الى مصر عام ١٨٧٠ ونشر دعــوته فيها ثم نفى منها عام ١٨٧٩) هو زعيم المدرســة الفكرية التى نشأت فى مصر وتنادى بجمع شمل المسلمين فى كافة أقطار العــالم وتطالب بتجديد الاسلام والتحرر من الجمود واطلاق العقــول واقامة نظام الحكم على الحرية والشورى . وقد أنشأ فى باريس مجلة « العروة الوثقى » للدعوة لأفكاره . وهو من أنصار جامعة اسلامية تكون زعامتها لأى مسلم صالح ولا يشترط أن تكــون الزعامة للعرب على خلاف معظم أنصار فكرة الجامعة الاسلامية .

وقد تتلمذ عليه كل من عبد الرحمن الكواكبى ، وهو سليل عائلة من حلب ، وأهم أفكاره أودعها كتابيه « أم القرى » و « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » . وكان من المتأثرين بالثقــافة الأوربية ، ومن دعاة الديمقراطية والجامعة الاســـلامية بزعامة عربية . وتتلمذ على يد الأفغانى أيضا الشيخ محمد عبده الذى تأثر بالبيئة المصرية ، وطالب باحياء اللغة العربية والعلوم الاسلامية واهتم بالتربية والتعليم . وكانت ثقافته أزهرية . وكان ينــدد

بالاستعمار الأوربى ويطالب بحكومة الشورى ويدعو للجامعة الاسلامية ولكن فى ظل الخلافة العثمانية . ومن أنصار فكرة البعث الاسلامى والجامعة الاسلامية نجد أيضا محمد رشيد رضا أحد تلاميذ الشيخ محمد عبده ، وهو سورى الأصل مقيم فى مصر . ونشر أفكاره عن الخلافة الاسلامية فى كتاب « الخلافة » وفى جريدة « المنار » التى أنشأها بمصر عام ١٨٩٨ . وهو من أنصار حكومة الشورى والأصل العربى للخليفة . وكان الزعيم الوطنى المصرى مصطفى كامل هو آخر دعاة الجامعة الاسلامية . فقد كان من أنصار التحرر وبناء الدولة العصرية داخل اطار الجامعة الاسلامية .

آثارها ومصيرها : كان من أهم آثار الدعوة للجامعة الاسلامية أنها حفظت التراث العربى فى مواجهة الاستعمار الأوربى وحافظت على تماسك الأمة ووحدتها فى مواجهة هذا الاستعمار . وكان للافكار التى نشرها أنصارها أثر هام فى تجديد بناء المجتمع والأخذ عن الحضارة الأوربية بما لا يطمس معالم الشخصية العربية ، وقد أسهمت بطريق مباشر فى تنمية الوعى القومى وابراز الأفكار الديمقراطية وتقريبها من نظيرتها فى التراث الاسلامى . وكان للدعوة الى خلافة اسلامية بزعامة عربية أثر غير مباشر فى ابراز الكيان العربى .

وقد قامت عدة عقبات فى سبيل تحقيق فكرة الجامعة الاسلامية بزعامة عربية من أهمها : محاربة الدولة العثمانية لها ،

تجزئة العالم العربي والعالم الاسلامى الى عدة دويلات تدور فى فلك الاستعمار الأوربى الذى غذى النزعات الاقليمية والنزعات الطائفية . الغاء الخلافة العثمانية فى تركيا عام ١٩٢٤ وعدم قيام دولة عربية قوية تتبنى الفكرة وتعمل على تحقيقها . تطور الأحداث السياسية بعد الحرب العالمية الأولى أضعف الفكرة وجعلها مستحيلة التطبيق .

ثالثا ـ الوحدة العربية

ظهور الفكرة العربية بالشام (١) : أسفرت اليقظة الفكرية العربية فى الشام عن ظهور وعى سياسى لدى المثقفين الذين جمعوا بين الثقافتين الأوربية والعربية تحول مع الزمن الى وعى قومى عبر عن نفسه بالثورة العربية أثناء الحرب العالمية الأولى . وقد تهيأت الظروف فى القسم الآسيوى من الوطن العربى لظهور الفكرة العربية بجانب الفكرة الاسلامية كأساس لتنظيم الكيان العربى ثم كتبت الغلبة للفكرة الأولى فكانت نواة القومية العربية . وظروف الشام كانت مختلفة عن غيرها من البلاد العربية وخاصة القسم الافريقى . ففى الشام كان الاحتكاك دائما بين العنصرين العربى والتركى وخاصة بعد ازدياد ضعف الدولة العثمانية منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر . فقد ازداد تدخل الأجانب فى أمور الدولة التى تقاعست عن اللحاق بركب التطور وصمت

---

(١) يقصد بالشام الرقعة الجغرافية التى تقوم عليها حاليا سوريا ولبنان وفلسطين والاردن .

أذنيها فى وجه دعوات الاصلاح الادارى والدستورى فى الوقت الذى انتشرت فيه مبادىء الثورة الفرنسية والمبدأ القومى ، وزاد الطين بلة ظهور الحركة الطورانية التى تستهدف اعلاء شأن القومية التركية على حساب العرب مما أدى الى ظهور حركة « تتريك » الدولة العثمانية ، وما صاحب ذلك من استبداد الحكم العثمانى وفساده . كل هذه العوامل أثارت شعور الكراهية بين العرب ضد الأتراك ودفعتهم الى التماسك فى وجههم والحفاظ على مقوماتهم واظهار كيانهم الذاتى . وقد ازداد هذا الشعور قوة وتماسكا بعدما فقدت الدولة العثمانية أراضيها فى البلقان فأصبح العرب يكونون أكثرية السكان فى الدولة العثمانية . وقد مكن لهذا الشعور وجود العرب فى رقعة كبيرة من الأرض وخضوعهم لحكم واحد هو الحكم التركى .

وبجانب هذا الاحتكاك الدائم بين العرب والأتراك — وهو أمر لم يكن له وجود فى القسم الافريقى العربى الذى خضع للاستعمار الأوربى — انفردت الشام بظاهرة أخرى هى وجود أقلية مسيحية نشطة وقوية . هذه الأقلية تشربت الثقافة الأوربية على يد الارساليات التبشيرية الأوربية ومن بينها الحرية والمساواة وتقرير المصير ... الخ . واكتشفت عظمة التراث العربى بعد احيائه وتكشف لها أن الحضارة الاسلامية ليست من صنع المسلمين وحدهم بل هى نتاج مشترك بين المسلمين والمسيحيين واليهود مما دفعهم الى التفاخر بماضيهم واعتزازهم بنسبهم العربى وحضارتهم

العربية ودفعهم أيضا الى التبرم بالحكم العثمانى وكراهية الأتراك باعتبارهم أجانب عن الحضارة العــــربية فنتجت لديهم فــكرة الانفصال عن الدولة العثمانية . وساعد على تنمية وتقوية الاتجاه الانفصالى أن الدولة العثمانية كانت تميز فى المعاملة بين الأتراك وغيرهم من السكان العرب ، وكانت تميز العرب المسلمين عــلى العرب المسيحيين وتحرم هؤلاء من بعض الحقوق على أســـاس اختلاف الدين وهو أمر يناقض المبادىء التى ينــادى بها الفكر الأوربى السياسى فضلا عن مخالفته للاصول الثابتة فى الحضارة العربية الاسلامية فتولد لديهم الاحساس بأنهم يعيشــــون على هامش الحياة السياسية للدولة . وقد مكن لاحساسهم بكيــانهم الذاتى داخل الدولة ما كانوا يتمتعون به من كيان خاص يتمثــل فى المجالس المحلية التى تختص بالفصل فى منــازعات الأحــوال الشخصية فيما بينهم وفقا لقانون الملة .

وكل العوامل سالفة الذكر جعلت بيئة الشام الاجتماعية مهيأة لظهور الفكرة العربية فى الأوساط المسيحية المثقفة قبل اخــوانهم المسلمين الذين ظلوا متمسكين بالفكرة الاسلامية بالرغم من تلاقى الفريقين حول ضرورة الاعتماد على التراث الثقافى الاســـلامى والحفاظ عليه . والخلاف بين الفريقين يظهر فى التنظيم الســياسى للكيان العربى . هل ينفصل العرب عن الدولة العثمانية ويكونون دولة خاصة (الفكرة العربية) بهم أم يظل العرب مع غيرهم داخل دولة اسلامية واحدة تكون زعامتها للعرب على رأى البعض أو

تكون زعامتها لأى مسلم على رأى البعض الآخر (الفكرة الاسلامية) . وظل هذان التياران يتقاسمان الفكر السياسى حتى نهاية القرن التاسع عشر مع ملاحظة أن أكثر المثقفين المسيحيين بالشام كانوا من أنصار تيار الفكرة العربية . وفى مستهل القرن العشرين تلاقى المسيحيون والمسلمون فى المشرق العربى فى الانتصار للفكرة العربية والتخلى عن فكرة الجامعة الاسلامية .

تطور الفكرة العربية (القومية العربية) : مرت هذه الفكرة بعدة تطورات أهمها :

١ ـ قومية ثقافية : ظهرت الفكرة فى بادىء الأمر فى الأوساط المسيحية بالشام فى صورة قومية ثقافية تتمثل فى احياء التراث العربى والاشادة بالحضارة العربية . وكان من زعماء هذه الحركة الفكرية ـ كما سبق القول ـ كل من بطرس البستانى ونصيف اليازجى . وقد قاما بالاشتراك مع غيرهم من المسيحيين والمبشرين الأمريكيين فى بيروت بتشكيل جمعية علمية تحمل اسم « جمعية الفنون والعلوم » تستهدف نشر العلم فى صورة عمل جماعى . وبعد بضعة سنوات (١٨٥٧) تشكلت «الجمعية العلمية السورية» لتحقيق ذات الغرض ، ولكنها تختلف عن الأولى فى أنها تشكلت من شخصيات عربية تنتمى الى جميع الطوائف الدينية وتستبعد المبشرين من عضويتها . وكانت هذه الجمعية هى أول مظهر من مظاهر الوعى المشترك بين المسلمين والمسيحيين .

وقد صاحب ظهور نشاط هذه الجمعية الفتنة الطائفيـة التى ظهرت فى جبل لبنان بين الدروز المسلمين والطائفة المارونية ممـا اضطر الدولة العثمانية تحت ضغط الدول الأجنبية الى توقيـع اتفاقية فى ٩ يونيه (حزيران) ١٨٦١ التى تقضى باعتبار جبل لبنان متصرفية قائمة بذاتها يحكمه حاكم عثمانى مسيحى غير لبنانى يطلق عليه لقب متصرف يقترحه الباب العالى وتوافق عليه الدول الكبرى الموقعة على الاتفاقية (بريطانيا ، روسيا ، بروسيا ، فرنسـا ، النمسا) ، ويعاونه مجلس ادارة مؤلف من ١٢ عضـوا . وبذلك حصل لبنان على الحكم الذاتى الداخلى . وهذا الوضع تولد عنه تياران فكريان فى جبل لبنان : أحدهما يطالب بالابتعاد عن الفكرة العربية والالتجاء الى حماية الدول الأجنبية عند الضرورة وقـد غذت الدول الأجنبية والبعثات التبشيرية هذا الاتجاه . أما التيار الثانى فيطالب بالبعد عن الطائفية مع التمسك بالفكرة العربيـة والاستقلال عن الحكم التركى ووسـيلتهم لذلك نشر التعـليم والثقافة العربية . وكان أنصار الاتجاه الثانى من تلامذة البستانى واليازجى .

٢ ـ فكرة سياسية تطالب باستقلال الشام : اتجه المثقفون منذ عام ١٨٧٥ الى العمل السياسى حينما تشكلت فى بيروت جمعية سرية من خريجى الكلية السورية البروتستانتية المسيحية وضمت الى عضويتها فيما بعد أشخاصا من المسلمين والطوائف الأخـرى تستهدف منح الاستقلال لسوريا متحدة مع لبنان والاعتـراف

باللغة العربية كلغة رسمية للبلاد والغاء الرقابة التى تحـول دون انتشار حرية الرأى والعلم وعدم استخدام جيوش البـلاد الا فى حدود بلادهم ، ودعت الجمعية الى الثورة عند الضرورة ووزعت منشورات تهاجم فساد الحكم التركى وتحث العرب على الثـورة لقلبه . وأصبح لهذه الجمعية عدة فروع فى دمشـق وطرابلس وصيدا . وكانت تحظى بعطف مدحت باشـا ـ حاكم الشـام حينذاك ـ زعيم حركة الاصلاح الدستورى وصاحب دسـتور ١٨٧٦ . غير أن السلطان عبد الحميد بعدما عطل الدسـتور عام ١٨٧٨ نكل بكل من تحوم حوله الشبهات . فلما اشـتدت وطأة الاستبداد هاجر الأعضاء البارزون من الجمعية الى مصر واستقروا بها . غير أن الاستبداد الحميدى لم يقض على روح الاستقلال والاصلاح فقد كثر عدد الجمعيات السرية التى تطالب بالاصلاح الدستورى وتتخذ من المؤامرات والثورات وسيلة لذلك .

٣ ـ **اللامركزية داخل الدولة العثمانية :** تبلورت أهـداف الحركة القومية العربية منذ ١٩٠٨ فى المطالبة بالحرية والمسـاواة والاعتراف بكيان العرب الذاتى داخل الدولة العثمانية . فقـد قامت « تركيا الفتاة » بانقلاب دستورى أدى الى اعادة الدستور عام ١٩٠٨ ثم عزل السلطان عبد الحميد ١٩٠٩ مما ترتب عليـه اشتداد ساعد الحركات القومية داخل الدولة العثمانية . فقـد عمل ممثلو العرب فى البرلمان التركى على الدفاع عن حقوق العرب فأنشىء المنتدى العربى عام ١٩٠٩ وأصدر مجلة باسمه . وتألفت

جمعية الاخاء العربى من بعض الساسة العرب فى الآستانة . وتألف عام ١٩١١ من النواب العرب حزب للدفاع عن حقوق العرب . غير أن الأتراك انساقوا وراء فكرة القومية الطورانية فأخذوا يمجدون العنصر التركى ويتجهون الى « تتريك » الدولة واللغة والتاريخ مما أثار شعور العرب فلجأوا الى المطالبة باقامة كيان عربى . وتشكلت لذلك عدة جمعيات سرية مثل الجمعية القحطانية وجمعية العهد . وكان لهزيمة تركيا فى البلقان عام ١٩١٢ واحتلال ايطاليا لليبيا أثر هام فى نفوس العرب لأنه قوى عزيمتهم فى امكان الخروج على سلطة الدولة العثمانية . فتأسس فى مصر « حزب اللامركزية » الذى يضم بين أعضائه بعض السياسيين من أبناء الشام الذين أقاموا بها . وظهرت فى بيروت الحركة الاصلاحية ، وتعالت الأصوات فى مؤتمر باريس ١٩١٣ باللامركزية والمساواة ، وهذا المؤتمر كان يضم طليعة المثقفين من المسلمين والمسيحيين . والاتجاه الذى ساد هذا المؤتمر يتخذ من اللامركزية أساسا فهو لا يطالب بالانفصال عن تركيا بل كان ينادى باشتراك العرب فى الادارة داخل اطار الرابطة العثمانية مع تقرير المساواة بين جميع المواطنين (١) .

---

(١) ظهر هذا الاتجاه واضحا فى الكلمات التى ألقاها أعضاء مؤتمر باريس ـ الذى تقاسم عضويته بالتساوى المسلمون والمسيحيون ـ ومنهم عبد الحميد الزهاوى ، عبد الغنى الريس ، احمد طبارة ، ندرة بدران ، اسكندر عمون . ونكتفى باثبات بعض ما قاله هذا الأخير . ففى الجلسة الاولى ذكر : « ان الأمة العربية لا تريد الانفصال عن الدولة ولا نصرة حزب على حزب أو جنس على جنس ، انما

وهكذا تطورت حركة القومية العربية فى الشام من حركة ثقافية تتمثل فى احياء التراث العربى والثقافة العربية الى حركة سياسية تطالب بالديمقراطية والمساواة والحفاظ على الكيان العربى داخل الدولة العثمانية بجانب تيار آخر — يعلو ويخفق حسب الظروف — ينادى بالانفصال عن الدولة العثمانية . وتزعم هذه الحركات الطليعية المثقفة التى تجمع بين الثقافتين الأوربية والعربية؛ أما سواد الناس فظل وعيهم السياسى ضعيفا جدا .

٤ — حركة عربية مستقلة عن الدولة العثمانية (الثورة العربية):

كانت الحرب العالمية الأولى نقطة تحول رئيسية فى تاريخ الحركة العربية ، اذ تحولت من حركة تحرير وطنى واصلاح دستورى فى ظل الخلافة العثمانية الى حركة قومية تستهدف الانفصال عن الدولة العثمانية وتكون دولة عربية تضم أبناء الأمة العربية فى القسم الآسيوى من الوطن العربى على أساس أنهم

=

تريد الاستبدال بالحكم الحاضر نظاما يناسب كل العناصر على اختلاف شئونها ويكون لمجموع الامة سلطة عليا نيابية » وفى الجلسة الثالثة يؤكد على المساواة فيقول : « اننا نريد حكومة عثمانية لا تركية ولا عربية .. حكومة يتساوى فيها جميع العثمانيين فى الحقوق والواجبات فلا يستأثر فريق بحق من الحقوق ، لا تراعى الجنس ولا تراعى الدين عربيا كان أم تركيا أم أرمنيا مسلما كان أم مسيحيا أم درزيا ... هذه هى قاعدتنا السياسية الجامعة وان كان لابد لهذه القاعدة من شهداء فكلنا لها مستعدون » .

وهذه المعانى رددتها الكثرة الساحقة من خطباء المؤتمر . غير انه ظهر بجانب هذا الاتجاه العام اتجاه تعالت به بعض الاصوات ينادى بالانفصال عن الدولة العثمانية .

يكونون أمة واحدة يتحدون فى اللغة ويشتركون فى التقاليد والتاريخ والمصير والتراث الثقافى المشترك دون تفرقة بين مسلم ومسيحى .

وقد تضافرت عدة عوامل فى شد أزر دعوة الانفصال عن الدولة العثمانية منها : انتصار الحركات القومية فى البلقان وانفصالها عن الدولة العثمانية . فقدان عرب المشرق ثقتهم فى قدرة الدولة العثمانية على الدفاع عن بلادهم ضد الأطماع الأوربية . اشتداد الصراع بين القومية الطورانية ــ وقد أصبح الاتحاديون الأتراك من غلاة دعاتها ــ وبين أنصار الكيان العربى الذين يتمسكون باللامركزية والاصلاح فى ظل الدولة العثمانية . وقد اشتد الصراع بين الفريقين نتيجة لتمادى الأتراك فى حركة التتريك من ناحية وعدم تنفيذ وعود الاصلاح الدستورى والادارى من ناحية ثانية . وترتب على ذلك توتر العلاقات بين العرب والاتراك فتشكلت تكتلات سرية تدعو الى الانفصال عن الدولة العثمانية . وما أن نشبت الحرب العالمية الأولى وفيها انحازت تركيا الى جانب دول الوسط حتى بدأ الأتراك فى التنكيل بالعرب فى الشام والعراق ونصبوا لهم المشانق فى كل مكان . فما كان ممن نجا منهم من المشانق الا الاتجاه الى الدعوة الصريحة بالانفصال عن الدولة العثمانية . وانتهزت بريطانيا الفرصة فأرسلت مبعوثيها الى العرب تطلب وقوفهم فى جانب الحلفاء ضد دول الوسط مقابل تأييد

هؤلاء لاستقلال العرب ووحدتهم بعد انتهاء الحرب . وقد تأكدت هذه الوعود فى الرسائل المتبادلة عام ١٩١٥ بين ماكماهون المعتمد البريطانى فى مصر والملك حسين الهاشمى شريف مكة . وفى هذه الرسائل تحددت حدود الدولة العربية بأنها تشمل كل القسم العربى فى آسيا باستثناء عدن . وانطلقت الثورة العربية من الحجاز بزعامة الحسين شريف مكة ووقف العرب بجانب الحلفاء ضد تركيا فازداد التنكيل بالعرب وازداد هؤلاء تمسكا بثورتهم بعد أن أعلن زعماؤهم فى دمشق « بروتوكول دمشق » الذى تضمن مشروع الدولة العربية والتحالف مع بريطانيا .

غير أن بريطانيا غدرت بالعرب . ففى الوقت الذى وعدت فيه العرب بالاستقلال عن تركيا وتكوين دولة عربية واحدة عقدت اتفاقاً سرياً بينها وبين فرنسا وروسيا عام ١٩١٦ هو اتفاق«سايكس بيكو » الذى يقضى بتقسيم أراضى الدولة العثمانية فيما بينها . وقطعت أيضا على نفسها فى عام ١٩١٧ عهدا يمنح اليهود وطنا قوميا فى فلسطين هو المعروف بوعد « بلفور » . ولما قامت الثورة البلشفية فى روسيا كشفت الستار عن هذه الاتفاقات السرية فحطمت ثقة العرب فى بريطانيا ، وتأكد لهم غدرها بهم حينما أصدرت بالاشتراك مع فرنسا تصريحا فى ٨ نوفمبر ١٩١٨ يقضى بتجزئة الأراضى العربية وانشاء دول بها واقرار معاهدة الصلح فى

فرساى لهذه التجزئة (١) .

وبالرغم مما قام به العرب من ثورات وعدم قبولهم لتسويات الصلح بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى الا أن الأمر انتهى بفشلهم واحتلال انجلترا وفرنسا لأراضيهم فى المشرق العربى وتجزئتها الى كيانات سياسية هزيلة وضاع الأمل فى تحقيق الدولة العربية فى المشرق وكان ذلك ايذانا ببدء مرحلة جديدة فى حركة القومية العربية .

---

(١) وامام هذه التطورات اضطر العرب ـ مجاراة للأمر الواقع ـ الى الاكتفاء باعلان استقلال الشام فى ٥ أكتوبر ١٩١٨ ثم أعلن المؤتمر الوطنى السورى فى ٧ مارس ١٩٢٠ تنصيب فيصل ابن الحسين ملكا على سوريا بحدودها الطبيعية (تشمل حاليا سوريا ولبنان وفلسطين والأردن) . واعلن زعماء العراق فى مؤتمرهم الذى انعقد بدمشق فى ٨ مارس ١٩٢٠ استقلال العراق برئاسة الأمير عبد الله ابن الحسين . غير أن مجلس الحلفاء الذى انعقد فى سان ريمو فى أبريل ١٩٢٠ قرر منح فرنسا الانتداب على سوريا وزحفت فرنسا بجيشها على دمشق وانتصرت فى معركة « ميسلون » الشهيرة فى ٢٤ يونيه ١٩٢٠ فانتهت دولة سوريا العربية ، وأعلن الفرنسيون استقلال لبنان الكبير فى أول سبتمبر ١٩٢٠ ، وقطعت اوصال ما تبقى من سوريا الى دويلات هى دمشق وحلب واللاذقية والاسكندرونة ثم انشىء اتحاد بينها فى ٢٨ يولية ١٩٢٢ . وفى سان ريمو أيضا ووضعت العراق تحت الانتداب الانجليزى فقامت ثورة فى العراق انتهت بتنصيب الامير فيصل ـ بعد أن غلبه الفرنسيون فى سوريا ـ ملكا للعراق واقامة حكومة دستورية به . وفى سنة ١٩٢٠ أيضا اقتطعت من سوريا كل من فلسطين وشرق الأردن ووضعا تحت الانتداب البريطانى ونصب على هذه الأخيرة الامير عبد الله . وفى الجزيرة العربية توسعت الدولة السعودية بعد استيلائها على الحجاز وخلع الحسين . أما عدن وامارات الخليج العربى فقد ظلت تحت حماية بريطانيا وأعلن استقلال اليمن (صنعاء) ، وانفصاله من تركيا واعترفت معاهدة لوزان ١٩٢٣ بهذا الاستقلال .

المبحث الثانى
مرحلة ما بين الحربين العالميتين
(الانشغال بالقضايا الاقليمية)

خصائص هذه المرحلة : تميزت المرحلة السابقة ــ كما سبق القول ــ بتجدد بناء المجتمع العربى نتيجة لعوامل داخلية وحركات اصلاحية فى بعض البلاد ونتيجة للاتصال بالحضارة الأوربية فى بعضها الآخر . وتميزت أيضا بظهور طلائع الفكر القومى تحت تأثير الأفكار الأوربية عن الديمقراطية والقومية . غير أن الوعى القومى ظل محصورا فى دائرة الزعمـــاء السياسيين والمفكرين . وتبلورت اتجاهات الفكر القومى فى اتجاهين رئيسيين أحدهما يتمثل فى الجامعة الاسلامية ، وقد انتشر هذا الاتجاه فى مصر وشمال افريقية والجزيرة العربية ، كوسيلة للخلاص من الاستعمار الأوربى وانقاذ الحضارة الاسلامية . أما الاتجاه الثانى فقد ظهر فى المشرق العربى وهو يتمثل فى ظهور الفكرة العربية ونموها حتى اكتملت معالمها خلال الحرب العالمية الأولى وأسفرت عن التطلع الى اقامة دول عربية واحدة فى القسم الآسيوى غير أن غدر الحلفاء بالعرب قضى على هذه الأمنية وهى بعد فى المهد .

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى ظهرت مرحلة جديدة فى تاريخ الحركة العربية ظلت قائمة حتى قبيل الحرب العالمية الثانية . وفى بداية هذه المرحلة اتسمت الحركة باقليمية النضال السياسى فظهر وعى سـياسى اقليمى وولاءات اقليمية بجانب الوعى القـومى

والولاء القومى ، واحتل الأول مركز الصدارة بالنسبة للثانى
وفى أواخر هذه المرحلة وقبيل الحرب العالمية الثانية جدت أحداث
سياسية حركت المشاعر القومية وأدت الى محاولة جمع الشمل
والعمل على التئام الدول العربية فى وحدة سياسية . غير أن الوعى
القومى لم يكن عميقا فى النفوس فلم يتغلب على النزعات المحلية
الاقليمية والأطماع الشخصية للحكام العرب فاقتصر الأمر على
ايجاد صيغة للتعاون والتنسيق بين العرب تمثل فى مولد الجامعة
العربية ، وتميزت هذه المرحلة بظهور تيارات فكرية جديدة فى
المجتمع ، هى صدى للأفكار الجديدة التى ظهرت فى العالم بعد
انتصار الثورة البلشفية فى روسيا وقيام النازية فى ألمانيا والفاشية
فى ايطاليا ، بجانب التيارات الفكرية الأوروبية القائمة على المذهب
الفردى والنظام الديمقراطى . فالجمعيات السرية والحركات
السياسية ذات الاتجاهات القومية تحول معظمها الى أحزاب
سياسية على نمط الأحزاب السياسية الأوروبية ـ تطالب بالاستقلال
وبالحياة الدستورية على غرار النظم الأوروبية الديمقراطية . وظهرت
بجانبها أحزاب أخرى ذات اتجاهات نازية أو فاشية أو شيوعية .
وظهرت أيضا بعد نهاية العقد الرابع أحزاب ذات برامج قومية
تنادى بالقومية العربية ، وبعض هذه الأحزاب نادى بالقومية فى
اطار الديمقراطية السياسية وبعضها الآخر نادى بها فى اطار
الديمقراطية الاجتماعية . وظهرت أيضا حركات شبه قومية تكرس
الوضع الطارىء الذى نتج عن خضوع منطقة عربية معينة لنفوذ
دولة أوربية وخضوع منطقة أخرى لنفوذ دولة أخرى . فظهرت

الدعوة الى المغرب الكبير فى شمال افريقية ، وادى النيل فى مصر والسودان وسوريا الكبرى فى المشرق العربى أو الهلال الخصيب وهكذا .

تجزئة العالم العربى وخضوعه للاستعمار : تعرض العالم العربى فى أخطر مرحلة من مراحل نموه القومى الى التجزئة السياسية من ناحية وخضوعه كله للاستعمار الأوربى من ناحية ثانية . وكان ذلك سببا هاما من أسباب عرقلة نمو الوعى القومى وعقبة فى سبيل تحقيق التطلعات القومية بعد اكتمال نمو الوعى القومى فى المرحلة التالية . وما زالت هذه التجزئة الطارئة تعرقل كل الحركات الوحدوية المعاصرة .

فكل من شمال افريقية ووادى النيل كان قد وقع فى قبضة الاستعمار الفرنسى والايطالى والانجليزى منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . والاطراف الجنوبية والشرقية للجزيرة العربية أصبحت منذ القرن التاسع مستعمرات أو محميات انجليزية . وبعد الحرب العالمية الأولى تجاهلت الدول الأوربية فى مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ أمانى الشعوب العربية التى كانت جزءا من الدولة العثمانية ونكث الحلفاء بوعودهم وقسموا المشرق العربى الى كيانات سياسية جديدة يخضع بعضها للانتداب الفرنسى ويخضع بعضها الآخر للانتداب الانجليزى . وتكرس هذا الوضع بمعاهدات دولية بدأت بمعاهدة الصلح فى فرساى عام ١٩١٩ وانتهت بمعاهدة لوزان عام ١٩٢٣ التى نظمت وضع

البلاد التى انسلخت عن الدولة العثمانية . وقبل ذلك كان العالم العربى كله — باستثناء مراكش — يخضع لسلطة سياسية واحدة هى الخلافة العثمانية . ولم ينج من الاستعمار الأوربى سوى اليمن (صنعاء) والعربية السعودية .

وقد عمل الاستعمار على ربط اقتصاديات البلاد التى تخضع لنفوذه بعجلة الدولة المستعمرة فأعاد التنظيم الاقتصادى للبلاد بما يضمن تبعيته له فظهر نشاط اقتصادى أفادت منه بعض الفئات الوطنية ولكنه لم يفد الغالبية الساحقة من النـــاس . ومن ناحية أخرى تدعمت التجزئة الاقتصادية للعالم العربى لأن المشروعات الاقتصادية كانت لا تستهدف خدمة الأمة العربية كلها بل تستهدف فقط مصالح الدولة المستعمرة والشركات الاحتكارية الأجنبية .

ومن الناحية الاجتماعية عمل الاستعمار على بقاء الأوضاع الاجتماعية القبلية وعلى اتساع الهوة بين الطبقات التى تتعاون معه وبين عامة الناس فضلا عن الذين يعادونه فأغـــدق الأموال والمناصب على من يتعاونون معه وحرم الباقين . وعمل على تفتيت الوحدة الوطنية فأثار الخلافات الطائفية وعمقها ، وعمل على تغذية النزعات المحلية والاقليمية فى كل منطقة .

ومن الناحية الثقافية والحضارية عملت كل من فرنسا وانجلترا وايطاليا على نشر ثقافتها ولغتها فى البلاد التى تحتلها . وحاولت كل منها عزل المنطقة التى تحتلها عن بقية أجزاء العـــالم العربى ونشرت فيها أسلوب حضارتها فى طرق المعيشة والملبس والمآكل

والمسكن فتنوعت أنماط الحياة الحضارية فى البلاد العربية تبعا لحضارة البلد المستعمر وانقطعت سبل الاتصال الحضارى بين أجزاء العالم العربى وقيد الانتقال من منطقة الى أخرى ، وعمل الاستعمار على توطين بعض الأجانب من رعاياه أو من الأوربيين فى أماكن معينة حرم دخول بعضها على أبناء البلاد .

ومن الناحية السياسية والادارية تفتتت وحدة العالم العربى تبعا للنظام السياسى الذى تضعه الدولة المستعمرة للبلاد التى تحتلها . فأساليب الحكم والادارة التى طبقتها انجلترا تختلف عن تلك التى طبقتها فرنسا وهكذا ، وتدرجت من الحكم المباشر الى اشراك الأهالى فى السلطة فى ظل نظم حكم محلية صورية . وتقطعت أوصال المناطق العربية المحتلة بعد أن كانت كل منها تكون وحدة ادارية تشترك مع غيرها فى وحدة سياسية فى ظل الحكم العثمانى . ففرنسا مثلا حاولت ضم الجزائر اليها ، وفصلت موريتانيـا عن مراكش ، وقسمت سوريا الى عدة دويلات صغيرة (دولة حلب ، دولة العلويين فى اللاذقية ، دولة جبل الدروز ، دولة دمشق ، نظام خاص للاسكندرونة ... الخ) بعد أن اقتطعت منها بيروت وطرابلس وبعلبك وصيدا وصور وانشأت منها مع جبل لبنان دولة لبنان الحالية . واقتطعت انجلترا من سوريا أيضا شرق الأردن وفلسطين وأقامت دولة فى كل منهما . وفصلت انجلترا السودان عن مصر ثم فصلت جنوب السودان عن شماله . وأطراف الجزيرة

تجزأت الى عدة امارات ومشيخات لكل منها كيانها الذاتى فى ظل الاستعمار الانجليزى (1) .

وأحيا الاستعمار نزعات من الماضى السحيق قبل نشأة الأمة العربية . أى قبل ظهور الاسلام . فأحيا النزعة الفرعونية فى مصر، والفينيقية فى ساحل الشام ، والبربرية فى المغرب ، وبث الفرقة بين الأكراد والعرب فى العراق ، وبين الزنوج فى جنوب السودان والعرب فى شماله وبين العرب والارمن فى الشام ، وأزكى نار الخلافات الدينية والطائفية بين المسلمين والمسيحيين ، وأشعل نار الفتنة بين أبناء الدين الواحد ، ففرق بين السنة والشيعة والدروز وعمق الخلافات بين الطوائف المسيحية المتعددة . وأقام الاستعمار حدودا مصطنعة بين الدول التى تخضع لحكمه مما أثار

---

(1) يضم الساحل الجنوبى مستعمرة عدن وامارات ومشيخات : لحج ، العامرى ، الفضلى ، يافع السفلى ، الحواشى ، يافع العليا ، الموسطة ، ظبى ، المفلحى ، الحضرمى ، الشايب ، القطيبى العلوى ، التعربى ، العوذلى ، العوالق العليا ، العوالق السفلى ، بيجان ، القعيطى (حضرموت الساحلية) والكثيرى (حضرموت الداخلية) المهرة ، البلحاف ، بير على ، ثم نجد فى الساحل الشرقى على الخليج امارتى عمان ومسقط . والى الشمال منها نجد عدة مشيخات : الشارقة ، عجمان ، راس الخيمة ، أم القيوين ، دبى ، أبو ظبى ، الفجيرة . والى الشمال منها نجد امارات قطر والبحرين والكويت .

وقد استقلت بعض هذه الامارات وتكونت منها دول مستقلة هى : الكويت عام ١٩٦١ ، دولة فى كل من قطر والبحرين وعمان عام ١٩٧١ ، وبعضها الآخر اندمج فى بعضه البعض الآخر وتكونت منها دول مستقلة . عدن وما جاورها اندمجت فى جمهورية واحدة هى اليمن الجنوبية الشعبية ١٩٦٧ ، دولة اتحاد الامارات العربية على الخليج عام ١٩٧٢ .

فى مرحلة ما بعد الاستقلال خلافات وصلت الى درجة الحروب حول هذه الحدود .

وهكذا تميز العالم العربى — فى أدق فترات نمــو الوعى القومى — بتجزئته السياسية وتباين نظمه السياسية والادارية والاقتصادية واختلاف فى تكوينه وتركيبه الاجتماعى فضلا عن اختلاف القوى السياسية الأجنبية التى تبسط نفوذها على أجزائه المختلفة . غير أن هذا الاختلاف وذلك التباين كان طارئا على حياة العرب فما لبث أن بدأت آثاره تنحسر تدريجيا بعد التخلص من الاستعمار .

الاستمرار فى تجديد بناء المجتمع : سبق أن بينا أن اتصال العرب بالحضارة الأوربية منذ القرن التاسع عشر ، عن طريق مصر والشــام والآستانة ، أدى الى هز كيانه الفــكرى والاجتماعى والاقتصادى وتجديد بنائه على أسس عصرية . وخضوع البلاد للاستعمار لم يقض على هذا التجدد ، وان كان عاق مسيرته وأبطأ خطواته ، بل زاد من التلاحم بين الحضارتين العربية والأوربية . وقد تمكن بعض المفكرين ، أمثال رفاعه الطهطاوى فى مصر وبطرس البستانى فى الشام ومن نحا نحوهما ، من التأليف بين الأفكار الأوربية والأفكار العربية . وتمكنت بعض فئات المجتمع ، وخاصة المثقفون منهم ، من استيعاب الحضارة الأوربية ومزجها بالحضارة العربية . ولكن عامة الناس عجزوا عن مزج الحضارتين ، وبعض المثقفين والمتعلمين عجزوا عن استيعاب بعض الأفكار الأوربية مع الحفاظ على الفكر العربى الأمر الذى ترتب عليه اندماج البعض

كلية فى الحضارة الأوربية والانسلاخ عن الحضارة العربية وتمسك البعض الآخر بالحضارة العربية — بحالتها القديمة — ورفض الحضارة الأوربية . ولم تكن ظروف البلاد العربية السياسية والاجتماعية والاقتصادية — بسبب تبعيتها للدولة العثمانية ثم الاحتلال الأوربى — تسمح باقتباس عناصر الحضارة الأوربية لتغذية وتنمية الحضارة العربية مع الحفاظ على أصولها ومقوماتها مما أدى الى ازدياد ضعف الحضارة العربية .

ونتج عن تلاقى الحضارتين اصابة المجتمع العربى بنوع من ازدواج الشخصية وتفسخ فى الشخصية العربية ظهر أثرهما فى عدة مجالات منها المأكل والملبس والمسكن واللغة فى بعض الأماكن ، ألوان التفكير ... الخ . ففى كل بلد عربى نجد بجانب انماط الحضارة العربية الفكرية والمادية أنماطا أوربية منقولة عن الدولة التى استعمرت البلد العربى : ملابس أوربية وملابس محلية ، مبانى على الطراز الأوربى أو الأمريكى بجانب الطرز العربية ، تقويم أوربى (ميلادى) بجانب التقويم العربى (الهجرى) ، قانون أوربى بجانب الشريعة الاسلامية ، ألفاظ أوربية تستعمل فى لغة التخاطب اليومية فى بعض الأماكن .. الخ . وهذا كله نتيجة طبيعية يسلم بها علماء الاجتماع ذلك — كما قال ابن خلدون فى مقدمته — أن المغلوب يتشبه أبدا بالغالب فى ملبسه ومركبه وسلاحه فى اتخاذها وأشكالها ، بل وفى سائر أحواله .

ومن ناحية ثانية ترتب على التطور الاقتصادى تحسن الأحوال الاقتصادية لبعض فئات من الناس هم التجار والمهنيون ، فأقبلوا

على التعليم وزاد وعيهم السياسى ، ولكن عددهم كان قليلا جدا بالنظر الى أن مقدرات المجتمع الاقتصادية كانت فى يد الأجانب والمستعمرين .

ومن ناحية ثالثة اقتضى بناء الدولة العصرية تدريب عدد من الموظفين فزاد عدد المتعلمين . وانتشرت وسائل الاعلام والثقافة من صحافة ومعاهد التعليم والسينما والراديو .. الخ مما ساعد على نمو الوعى السياسى من ناحية ونمو الفئات المثقفة من ناحية ثانية . وكان لهؤلاء المثقفين دورهم البارز فى قيادة حركات الاستقلال والاصلاحات الدستورية .

غير أن تجدد بناء المجتمع قد تم فى ظل التجزئة السياسية مما ترتب عليه تحول النضال العربى من الفكرة العربية أو الجامعة الاسلامية الى حركات سياسية تستهدف الاستقلال والحياة الدستورية . ويجب أن ننوه الى أن هذه الحركات ارتبطت بمدى نمو الوعى السياسى فى أجزاء العالم العربى تبعا لدرجة التجدد فى بناء المجتمع .

الحركات السياسية وأهدافها : ترتب على تجزئة العالم فى ظل الاستعمار الأوربى أن انصرف الزعماء السياسيون والمثقفون الى الجهاد فى سبيل حل المشاكل الاقليمية ومواجهة الأوضاع الجديدة فانشغلوا فى بناء الأجهزة السياسية والادارية للدول الجديدة وكيفية تنظيم العلاقة بين شعوبهم والدول المستعمرة ، وظهرت ولاءات سياسية جديدة وارتبطت مصالح بعض السياسين بالحكم الجديد وطغت هذه المصالح على التطلعات القومة . وما لبث أن

وقع صدام بين شعوب هذه الدول الجديدة والدول المستعمرة تسلحت فيه هذه الشعوب بسلاح حق تقرير المصير والحرية والمساواة والسيادة الشعبية وغير ذلك من المبادىء الديمقراطية. تطالب بالاستقلال عن المستعمر وتطالب بالحياة الدستورية . وتزعم هذه الحركات فريق من الزعماء القوميين القدامى فضلا عن زعامات وطنية جديدة من أبناء الطبقة الوسطى الذين نضج وعيهم السياسى .

وقد ارتبطت هذه الحركات فى قيامها وعمق أثرها بمدى التجدد الذى تم فى بناء المجتمع وما صاحبه من وعى سياسى ، وارتبطت أيضا بمدى عمق النزعة الاقليمية فى مواجهة الفكرة العربية أو الرابطة الاسلامية . والظاهرة الملحوظة أن كل الحركات السياسية جعلت من الاستقلال واقامة الحياة الدستورية هدفين أساسيين يسبقان ما عداهما من أمانى بما فيها الأمانى القومية .

فالسعودية واليمن كانتا الدولتين الوحيدتين المستقلتين بعد تخلصهما من النفوذ والسيطرة العثمانية . غير أن عزلتهما الطبيعية وعدم اتصالهما بالحضارة الأوربية فى ذلك الوقت وعدم خضوعهما للاستعمار الأوربى أدى الى سيطرة النزعة الاقليمية والقبلية من ناحية وعدم تجدد بناء المجتمع من ناحية ثانية ، ولذلك لم تنتشر فيهما الأفكار الديمقراطية الأوربية وظلا بعيدين عن الفكرة العربية وقريبين من فكرة الرابطة الاسلامية .

أما الشمال الافريقى فان الستار الحديدى الذى ضربه حوله الاستعمار الفرنسى والايطالى قد بعد به عن الفكرة العربية ومنعه

من الاتصال بدول المشرق العربي ومصر فسادته نزعة اقليمية نماها الاستعمار وسيطرت عليه الفكرة الاسلامية كوسيلة للخلاص من الاستعمار الأوربى ، فأخذت الحركات السياسية فيه صورة الجهاد الدينى ضد الكفار غير أن الاستعمار تمكن من اخمادها ثم تحولت الى حركات وطنية قامت بعدة ثورات انتهت بالحصول على الاستقلال بعد الحرب العالمية الثانية بمساندة بقية الدول العربية وعلى رأسها مصر . فقد استقلت ليبيا بأقاليمها الثلاثة (برقة ، طرابلس ، فزان) عام ١٩٥٢ ، واستقلت كل من تونس والمغرب عام ١٩٥٦ واستقلت الجزائر عام ١٩٦٢ بعد ثورة دامية استمرت بضع سنوات .

أما مصر فقد سيطرت عليها النزعة الاقليمية منذ عهد مبكر حينما تمكن محمد على من الحصول على اعتراف السلطان العثمانى بكيان مصر الذاتى . ولكنها أخذت بأساليب تجديد المجتمع منذ وقت مبكر ونما فيها الوعى السياسى والقومى فى صورة الجامعة الأسلامية . غير أن الأحتلال الانجليزى دفعها الى الانصراف الى المطالبة بالاستقلال واقامة الحياة الدستورية . وقد حصلت عليهما عام ١٩٢٣ بعد ثورة شعبية اندلعت عام ١٩١٩ ، واكتمل استقلالها عام ١٩٣٦ ، وبعد هذا التاريخ أخذت تمد يدها الى العالم العربى وظل فكرها يتأرجح بين التيار الاسلامى والتيار العربى . وكان لوجود الأزهر بها أثره الهام فى أنها ظلت حصن العروبة والاسلام والمحافظة على التراث سواء قبل استقلالها أم بعده .

وسيطرت النزعة الاقليمية أيضا على دول المشرق العربي .

فدمشق التى كانت عاصمة الدولة العربية الكبرى التى أجهضت على يد الحلفاء بعد الحرب العالمية الأولى ، أصبحت مشغولة بمشاكلها الجديدة الناجمة عن اقتطاع أجزاء من سوريا الكبرى وتقلصها الى سوريا الحالية فضلا عن تجزئة الجزء الذى تبقى منها الى دويلات دمشق وحلب .. الخ . فى ظل الانتداب الفرنسى . فقامت عدة ثورات شعبية (١٩٢٥ — ١٩٢٧) تستهدف توحيد سوريا وتحريرها من الانتداب الفرنسي واقامة حكومة دستورية. ونجحت فعلا فى الحصول على دستور عام ١٩٣٠ فى ظل الانتداب الفرنسى ثم انتهى هذا الانتداب عام ١٩٤١ وتم جلاء الجيوش الفرنسية عام ١٩٤٦ . ولكن الفكرة العربية لم تمت فيها بل ظلت حية . أما فى لبنان فقد تراجعت فكرة الوحدة العربية بسبب الخلافات الطائفية التى غذاها المستعمر الفرنسى . وانحصر كفاح لبنان فى الحصول على الدستور والاستقلال ، ونعم بالدستور عام ١٩٢٦ وانهاء الانتداب عام ١٩٤١ ثم جلاء الجيوش الفرنسية عام ١٩٤٦ . وفلسطين شغلت بكفاحها ضد الانتداب الانجليزى من ناحية وضد الخطر الصهيونى من ناحية ثانية . وقد ظلت الفكرة العربية حية لأن الفلسطينيين آمنوا بأن التخلص من الخطر الصهيونى لا يتم الا باتحاد العرب . وفى الأردن ظلت الفكرة العربية حية ونعمت بدستور عام ١٩٢٨ وحصلت على استقلالها عام ١٩٤٦ .

أما العراق فقد ظل معقلا للفكرة العربية ، وقامت به عدة

ثورات أشهرها ثورة ١٩١٩ وحصل على الدستور عام ١٩٢٥ وتم استقلاله عام ١٩٣٠ .

وقد أسفرت كل هذه الحركات السياسية الاقليمية وماصاحبها من ثورات شعبية عن حصــول بلاد المشرق العربي ومصر على اســتقلالها السياسي ولكنه كان مقيدا بمعاهدات تحالف مــع الاستعمار الأوربي تحد من ارادة هذه الدول . وحصلت أيضا على دستور على نمط الدساتير الأوربية يكرس مبدأ الســيادة الشعبية والحرية والمساواة ويأخذ عن النظام البرلماني . وقد تزعم هذه الحركات بعض الزعماء القوميين القدامى وبعض أبناء الطبقة الوسطى من المثقفين . غير أن الحياة الديمقراطية لم تسفر عن نتائج مماثلة لما كان عليه الحال فى البلاد الأوربية لعدة أسباب منها : ضعف الوعى السياسى وقلة عدد أبناء الطبقة الوسطى — عماد النظام الديمقراطى — وضعف نفوذهم . وعدم تطبيق الديمقراطية تطبيقا سليما فكثيرا ما كانت تعطل الدساتير فى ظل أحكام عرفية استجابة لرغبات الدول المستعمرة أو تحقيقا لرغبة الحكام العرب ونزواتهم . وبالرغم من ذلك فقد كانت النظم البرلمانية خير مدرسة لتعليم الديمقراطية وتنمية الوعى السياسى للشعوب . ولكن فترة الديمقراطية السياسية لم تدم سوى ربع قرن ذلك أن القوات المسلحة استولت على السلطة فى كثير من البلاد العربية وأعادت بنــاء المجتمع العربى على أسس جديدة تضع فى المقــام الأول الديمقراطية الاجتماعية .

اتجاه التقارب بين البلاد العربية : انشغلت القيادات الوطنية - كما سبق القـول - بالمطالب الاقليمية المحليـة واتسمت الحركات السياسية بالطابع الاقليمى مما أدى الى استقطاب الولاء نحو الدول الجديدة وظهور مصالح خاصة داخل كل دولة . ولكن ذلك لم يقض على الوعى القومى . فما أن فرغت الدول العربية من مشاكلها الداخلية وحصلت على استقلالها ، ولو انه كان مقيدا ، حتى اتجهت الى تحقيق المطالب القومية . غير أن الوعى القومى وان ظل حيا فى نفوس المثقفين الا أنه ظل ساكنا وضعيفا لدى عامة الناس ومغلفا بالشعور الدينى والعاطفة الاسلامية . ومن ناحية أخرى كان الموقف الدولى لا يسمح بانطلاق الشـعور القومى والوصول به الى غاياته . ولذلك ظلت الأمانى القومية كامنة فى النفوس وظلت الحركة القومية رهينة بارادة الزعماء السياسيين ومطامعهم الشخصية .

وتميز العقد الرابع من القرن العشرين وما تلاه بظهور عـدة عوامل دولية ومحلية أدت الى نمو الوعى القومى من ناحية وظهور العديد من التيارات الفكرية من ناحية ثانية الأمر الذى دفع البلاد العربية المستقلة الى التقارب . وأهم هذه العوامل هى :

١ - ترتب على انتصار الثورة البلشفية فى روسيا انتشار المبادىء الاشتراكية والشيوعية ، وترتب على ازدهار وقوة كل من ألمانيا وايطاليا فى ظل نزعة قومية متطرفة ازدياد التعلق بالفكر القومى لدى الشعوب المستعمرة والاعتماد على القومية للخلاص

من تجزئتها السياسية والنفوذ الاستعماري فضلا عن التجزئة الاقتصادية . ونتج عن ذلك تأثر بعض التيارات الفكرية فى البلاد العربية بالأفكار سالفة الذكر فنشأت فى العقد الرابع من القرن العشرين أحزاب ذات اتجاهات قومية أو شبه قومية وظهرت أحزاب ذات اتجاهات اشتراكية فى اطار القومية . ومن أمثلة ذلك الحزب القومي السورى الذى ينادى بوحدة الأمة السورية (سوريا الكبرى) وحزب النجادة فى لبنان الذين يدين بالفكرة العربية والاتحاد العربى ، حزب مصر الفتاة فى مصر الذى تحول الى حزب اشتراكى ، حزب البعث العربى والحزب العربى الاشتراكى وكلاهما ينادى ببرنامج قومى عربى وحدوى ذى مضمون اجتماعى (وقد اندمج الحزبان فى بعضهما باسم حزب البعث العربى الاشتراكى منذ عام ١٩٥٣ واتخذ من الوحدة والحرية والاشتراكية شعارا له) . وبجانب هذه الأحزاب وتلك ظهرت أحزاب تعادى الوحدة العربية والقومية العربية مثل الأحزاب الشيوعية فى العالم العربى فضلا عن الأحزاب التى تنادى بالانعزال مثل الكتائب فى لبنان . وظهرت أحزاب تنادى بالوحدة الاسلامية مثل الاخوان المسلمين .

٢ — نزول مصر الى ميدان الحركة العربية وتخليها عن نزعتها الاقليمية بعد أن حصلت على استقلالها منذ ١٩٣٦ . فقد أجمع الباحثون فى القومية العربية بمختلف اتجاهاتهم على أن الصفات التى اجتمعت لمصر جعلت دخولها فى المعركة العربية منذ عام ١٩٣٦ حدثا بارزا فى تاريخ الحركة العربية مدها بطاقة وقوة دفعتها الى

الأمام ،وجعلت منها قاعدة للحركة القومية العربية منذ ذلك الحين حتى الآن .

٣ — كان الخطر الصهيونى بعيد الأثر فى تنمية المشاعر القومية وتنبيه العقول الى مساوىء التجزئة الاقليمية ولفت النظر الى ضرورة الاتحاد لمواجهة الخطر الصهيونى المشترك . ولذلك انخرط العرب — يحدوهم الشعور الدينى من ناحية والخطر المشترك من ناحية ثانية — فى الثورات التى اندلعت فى فلسطين منذ ١٩٣٦ ضد الانجليز والصهاينة ، وشاركوا كمتطوعين فى حروب ١٩٤٧ ، ودخلت الجيوش النظامية للبلاد العربية فلسطين عام ١٩٤٨ بغية استخلاصها من اليهود ، وظهر ذلك أيضا فى تضامن كل العرب مع مصر حينما وقع عليها العدوان الاسرائيلى بالاشتراك مع فرنسا وانجلترا عام ١٩٥٦ ، وتعاونت الجيوش العربية فى حرب ١٩٦٧ ضد العدوان الاسرائيلى .

جامعة الدول العربية : كانت ثمرة التقارب بين البلاد العربية هى ميلاد جامعة الدول العربية فى ٢٢ مارس ١٩٤٥ . غير أن المشاورات التى صاحبت نشأة الجامعة كشفت عن حرص الحكومات العربية على تمسكها باستقلالها وسيادتها مع استعدادها لتعاونها فيما بينها فى المسائل السياسية والاقتصادية والثقافية . ولذلك لم تظهر فى صورة دولة مركزية واحدة ولا اتحادا فيدراليا ولا اتحادا كونفودراليا ولا حلفا بل مجرد منظمة اقليمية . وبالرغم من هذا القصور فان قيام جامعة الدول العربية كان دليلا

على ادراك الحكومات والشعوب العربية لمدى عمق روابط العروبة المستمدة من وحدة اللغة والتاريخ والثقافة والتقاليد والمصالح المشتركة والمصير الواحد . وهو ما عبرت عنه ديباجة الميثاق بقولها : « ان رؤساء سوريا وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية ولبنان ومصر واليمن تثبيتا للعلاقات الوثيقة والروابط العديدة بين الدول العربية وحرصا على دعم هذه الروابط وتوطيدها على أساس احترام استقلال تلك الدول وسيادتها وتوجيهها لجهودها الى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة وصلاح أحوالها وتأييد مستقبلها وتحقيق آمانيها وآمالها واستجابة للرأى العربى العام فى جميع الأقطار العربية قد اتفقوا على عقد ميثاق لهذه الغاية » . ويظهر تأسيس الجامعة على أساس العروبة فى أن عضويتها اقتصرت على البلاد العربية المستقلة . وبالرغم من أنها قيدت العضوية بشرط الاستقلال ــ تفاديا لفتح ثغرة ينفذ منها الاستعمار الى كيان الجامعة ــ الا أنها تركت الباب مفتوحا أمام الدول العربية التى تستكمل استقلالها فى المستقبل (١) ، وحرصت على تنظيم نوع من التعاون بين الجامعة والبلاد العربية المستعمرة فى شمال افريقية

---

(١) أصبحت الجامعة تضم الآن ٢٠ دولة عربية . فبجانب الدول السبع المستقلة التى وقعت على الميثاق انضمت الدول الآتية بعد استقلالها : ليبيا عام ١٩٥٣ ، السودان عام ١٩٥٦ ، كل من المغرب وتونس عام ١٩٥٨ ، الكويت عام ١٩٦١ ، الجزائر عام ١٩٦٢ ، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية عام ١٩٦٨ ، كل من قطر والبحرين وعمان واتحادات إمارات الخليج عام ١٩٧٢ وكل من موريتانيا والصومال عام ١٩٧٤ .

ومحميات جنوب الجزيرة العربية فوضعت لها ملحقا خاصا ووضعت ملحقا آخر خاصا بفلسطين .

وقد أملت الشعوب العربية فى أن تكون الجامعة خطوة فى سبيل الوحدة غير أنها عجزت عن تحمل مسئولياتها ولم تصب سوى نجاح محدود فيما عالجته من أمور . وذلك يرجع الى عدة أسباب أهمها : سيطرة النزعة الاقليمية على عقلية بعض الحكام العرب تحقيقا لمصالح خاصة أو طائفية أو حزبية ، تنازع الأسر الملكية الحاكمة حينذاك وتفضيل بعضهم قيام اتحاد بين كل أو بعض بلاد المشرق العربى انطلاقا من فكرة الدولة العربية التى وعد بها الحلفاء العرب ابان الحرب العالمية الأولى ، مثل مشروع الهلال الخصيب الذى احتضنه العراق أو مشروع سوريا الكبرى الذى احتضنه الأردن . وكل ذلك يرجع الى أن الجامعة قامت بارادة الحكومات وليس بناء على ارادة شعبية . وقد ظهر العجز الكامل للجامعة فى نكبة فلسطين وما ظهر من تقاعس الحكومات العربية عن أداء واجبها واستسلامها للمطامع الشخصية .

المبحث الثالث
انتصار مبدأ الوحدة
مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية

أصاب العالم العربى تطورا كبيرا بعد الحرب العالمية الثانية ظهرت آثاره فى تطور الحركة القومية العربية ، فاكتسبت سمات

تميزها عن المرحلتين السابقتين وتحققت بعض التطلعات القومية واتخذت الخطوات العملية لتنفيذ بعضها الآخر وتعددت محاولات الوحدة السياسية فى بعض أجزاء العالم العربى كنواة للوحـدة الشاملة أصاب بعضها الفشل أما بعضها الآخر فما زال حديث العهد لم تكشف الأيام عن مصيره . وسـنعرض لكل من عوامل تطور المجتمع العربى وخصائص الحركة القومية ومحاولات الوحدة .

١ ـ تطور المجتمع العربى

عوامل التطور وآثاره : سبق أن بينا أن مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية شهدت تطورا فكريا وسياسيا واقتصاديا فى العـالم كله . فقد ظهـرت تيارات فكرية عديدة تفـرعت عن المـذهبين الكبيرين : المذهب الفردى والمذهب الجماعى ، وتعددت تطبيقات المذهبين وظهرت أحلاف عسـكرية وتكتلات اقتصـادية نتيجة لانقسام العالم الى معسكرين : المعسكر الغربى بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية والمعسكر الشرقى بزعامة الاتحاد السوفيتى . وأتت الثورة الصـناعية ثمارها وبدأت ثورة التكنولوجيا تنتج آثارها مما أدى الى انقسام العالم الى دول غنية ودول فقـيرة وازدياد الهوة اتساعا بين القسمين . اندثر الاستعمار وتم التسليم نظريا وعمليا بحق الشعوب فى تقرير مصيرها وتبنى ميثاق الأمم المتحدة لهذا المبدأ .

وقد ظهرت آثار هـذه التطورات فى العالم العـربى . وكان أبرزها حصول شمال افريقية على استقلاله السياسى وظهور عدة

دول عربية مستقلة فيه (ليبيا عام ١٩٥٢ ، تونس عام ١٩٥٦ ، المغرب عام ١٩٥٦ ، الجزائر عام ١٩٦٢) ، وحصل السودان على استقلاله عام ١٩٥٦ وحصل أيضا كل من الصومال وموريتانيا على استقلالهما . وفى القسم الآسيوى استقلت البلاد التى كانت خاضعة للاستعمار الانجليزى وظهرت عدة دول عربية فيها (الكويت عام ١٩٦١ ، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية عام ١٩٦٧ ، كل من قطر والبحرين وعمان ١٩٧١ ، دولة اتحاد الامارات العربية ١٩٧٢) . وبذلك أصبح العالم العربى كله مستقلا سياسيا وأصبح يتكون من ٢٠ دولة أصبحت أعضاء فى هيئة الأمم المتحدة وانضمت كلها الى ميثاق جامعة الدول العربية وعملت هذه الدول على تصفية آثار الاستعمار والتخلص من نفوذه ، فصفيت القواعد العسكرية الأجنبية فى شمال افريقية وفى قناة السويس وفى عدن وغيرها ، وتخلصت من المعاهدات التى كانت تقيد استقلالها السياسى .

وكان للموقع الجغرافى للعالم العربى كحلقة اتصال بين القارات الثلاث مكانا بارزا فى الصراع بين القوتين العظيمتين اللتان تتنافسان فى سيادة العالم . فقد حاولت كل منهما اثبات وجودها فى المنطقة بعد زوال آثار النفوذ البريطانى والفرنسى . فبدأ الاتحاد السوفيتى يتسلل الى العالم العربى عن طريق المنظمات والأحزاب الشيوعية والمعاهدات وبدأت الولايات المتحدة ربط العالم العربى بعجلتها عن طريق الأحلاف والمعاهدات ومنها

حلف بغداد (١٩٥٥) ومبدأ ايزنهاور (عام ١٩٥٧) بحجة ملء الفراغ السياسى الذى نجم عن زوال نفوذ انجلترا وفرنسا ومناهضة تسرب النفوذ السوفيتى . غير أن البلاد العربية رفضت أن تدور فى فلك كل من القوتين الكبيرتين فرفضت الانضمام الى حلف بغداد (باستثناء العراق وقد خرج من الحلف بعد ثورة ١٩٥٨) ورفضت مبدأ ايزنهاور . ومن ناحية أخرى لم تطلق للأحزاب الشيوعية حرية العمل ورفضت الانضمام الى الأحلاف العسكرية الشيوعية . وآثرت الدول العربية سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز حفاظا على استقلالها السياسى وسيادتها . ومن ناحية أخرى اشتد التنافس بين القوتين العظيمتين حول العالم العربى بسبب ثروته البترولية ، فهو يحوى حوالى ٧٠٪ من الاحتياطى العالمى للبترول . وكانت الشركات الأوربية والأمريكية أسبق من الكتلة السوفيتية فى استثمار هذا البترول . وتحاول الدول العربية تنسيق سياستها البترولية بما يمكنها من استغلاله بنفسها وتوجيه موارده للنهوض باقتصادياتها . وقد قطعت فى ذلك شوطا كبيرا بعدما أنشأت فيما بينها منظمة «الأوبك» ولكنها ما زالت فى بداية الطريق .

وكان للعوامل سالفة الذكر أثرها الهام فى توثيق عرى التضامن بين العرب والاتجاه نحو وحدتهم حتى يتمكنوا من الحفاظ على ذاتيتهم العربية واللحاق بركب التطور .

أثر النكبة الفلسطينية فى الحركة القومية العربيـة : كانت المشكلة الفلسطينية نقطة تحول بارز فى تاريخ الحركة القومية العربية ، فقد كشفت الظروف التى صاحبت انشاء اسرائيل عام ١٩٤٨ عن مدى مساندة الدول الأجنبية لها ــ بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى ــ وحرصـها على بقائها فى قلب العالم العربى وتثبيت وجودها بمدها بالسلاح والمـال والمهاجرين الفنيين على حساب تشريد أبناء فلسطين العرب ، وهذه الظاهرة نبهت العرب الى أن استخلاص حقوق شعب فلسطين لا يتم الا على أيدى العرب أنفسهم ولا يجوز الركون الى أية دولة أجنبية فى هذا السبيل . وكشف النزاع بين العرب واسرائيل منذ قيامها عن نواياها التوسعية بحيث تمتد حدودها من النيل الى الفرات . فأصبح الخطر الصهيونى خطرا مشتركا يهدد العرب أجمعين ، ولا سبيل الى مجابهته الا باتحاد العـرب وقوتهـم . وكشفت حرب ١٩٤٨ بين الجيوش النظامية العربية والصهاينة عن مدى تفكك العرب وفساد الحكومات العربية وتخلف جيوشها فى التدريب والسلاح فضلا عن تصرف كل منها من واقع نظـرة اقليمية ضيقة الأمر الذى أدى الى وقوع الكارثة المعروفة .

وهكذا كشفت المشكلة الفلسطينية عن عجـز الحكومات العربية كل منها منفردة عن مواجهة الخطر الصـهيونى وكشفت أيضا عن ضعف نظم الحكم وعدم قدرتها على مواجهة هـذا الخطر . فانعدمت ثقة الشعوب العربية فى هـذه النظم وطالبت

بتغييرها واعادة بناء المجتمع وتقوية الجيوش العربية فى ظل وحدة سياسية تضم العرب جميعا حتى تكون قادرة على التصدى للخطر الصهيونى والقضاء عليه . وقد تأكد للعرب ألا عاصم لهم من الخطر الصهيونى الا وحدتهم بعد حرب السويس عام ١٩٥٦ وبعد هزيمة ١٩٦٧ ، وقد ظهر التضامن العربى فى أجلى معانيه خــلال حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وقد دلت هذه الحرب عــلى أنه فى مقــدور العرب — اذا ما اتحدت كلمتهم — أن يقلمــوا أظافــر اسرائيل ويستخلصوا الحقوق المشروعة لشعب فلسطين ويفرضوا احترامهم على العالم كله .

ولذلك كانت نكبة فلسطين عاملا رئيسيا فى قيام الثورات التى وقعت فى العالم العربى بعد ١٩٤٨ بهدف اصلاح المجتمع والتمهيد للوحدة وتأييد الشعوب لهذه الثورات (استيلاء القوات المسلحة على السلطة فى سوريا عام ١٩٤٩ ، ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ فى مصر ، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ فى العراق ، ثورة الجزائر ١٩٥٤ وانتصارها عام ١٩٦٢ ، ثورة اليمن (صــــنعاء) عام ١٩٦٢ ، ثورة كل من السودان وليبيا ١٩٦٩) وقيام الثورتين الأخيرتين دليل على رفض العرب لهزيمة ١٩٦٧ .

وقد أدت الثورات سالفة الذكر الى تغيير بناء البلاد التى قامت فيها سياسيا واجتماعيا . فقــد قضت على النظم الملكيــة وأحلت محلها النظم الجمهورية ، ونبذت الأسلوب الرأسمالى فى التنمية الاقتصــادية وأخذت بالأسلوب الاشتراكى بما يتفق مع

ظروفها ، ونما الوعى القومى فى ظل هذه الثورات فتوارى الولاء الاقليمى تاركا مكانه للولاء القومى .

٢ ـ خصائص الحركة القومية العربية المعاصرة

تميزت الحركة القومية العربية المعاصرة بعدة خصائص مغايرة لما كان عليه الحال فى المرحلتين السابقتين .

١ ـ التسليم بمبدأ الوحدة العربية : أصبحت الوحدة مطلبا أساسيا للجماهير العربية ولا يجرؤ أى حاكم عربى على الخروج على هذا المبدأ ، غير أن الآراء اختلفت حول وسائل تحقيقه . وأبرز الاتجاهات اتجاه ينادى بدعم التضامن العربى وتقويته ، حتى تتحقق الوحدة بصورة متدرجة ، أما الاتجاه الثانى فينادى بالوحدة الفورية .

وتيار التضامن العربى والوحدة التدريجية لا ينكر وجود الأمة العربية ولا أهدافها القومية ولكنه يرى أن ظروف الأمة العربية الحاضرة تقضى بتأجيل الوحدة السياسية فترة من الزمن والاكتفاء فى الوقت الحاضر بتوثيق عرى التضامن والتعاون بين العرب ثقافيا واقتصاديا وسياسيا فى ظل الجامعة العربية مع تقويتها . وهذا التيار يجد سندا له فى واقع التجزئة السياسية والاقتصادية التى عاشها العالم العربى بعد الحربين العالميتين الأخيرتين الأمر الذى أدى الى تباين الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى أجزائه المختلفة . فبعضها يأخذ بنظام ملكى والبعض الآخر بنظام جمهورى ، وبعضها يسوده النظام

الرأسمالى وبعضها الآخر يأخذ بالمبادىء الاشتراكية بدرجات متفاوتة ، وبعضها نما فيه الوعى القومى نموا كافيا وبعضها الآخر مازالت تسوده الولاءات الاقليمية ، ارتفاع نصيب الفرد من الدخل القومى فى بعض البلاد — وخاصة بلاد البترول — وتدنيه فى بعضها الآخر .. الخ . هذه التجزئة نتج عنها ظهور مصالح خاصة بالطبقات الحاكمة وبعض طبقات المجتمع ، والحفاظ على هذه المصالح دفعها الى التشبث بالولاء الاقليمى . وقد تأثر بعض زعماء الأحزاب والتنظيمات السياسية ذات الاتجاهات القومية بالدوافع الاقليمية فنظرت للوحدة السياسية القومية من خلال ما تحققه من مصالح اقليمية وحزبية . ويقف من وراء كل ذلك الاستعمار الذى يساند التجزئة حفاظا على مصالحه السياسية والاقتصادية ، وكذلك الأحزاب والمنظمات الشيوعية لأن أيديولوجيتها الفكرية تعادى القومية وتنادى بالأممية العالمية .

وقد أسفر تيار التضامن عن عقد عدة معاهدات بين دول الجامعة العربية أبرزها معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى التى عقدت عام ١٩٥٠ ثم عدلت عدة مرات . وهى تقضى بانشاء هيئة عسكرية دائمة من ممثلى هيئة أركان حرب الدول الأعضاء وانشاء مجلس الدفاع المشترك من وزراء الخارجية والدفاع . وتقضى أيضا بانشاء مجلس اقتصادى من الوزراء المهتمين بشئون الاقتصاد فى الدول الأعضاء وقد أبرم هذا المجلس أربع اتفاقيات اقتصادية هى : اتفاقية تسهيل التبادل التجارى

وتنظيم تجارة الترانزيت عام ١٩٥٣ ، اتفـاقية انشـاء المؤسسـة المـالية العربية للانماء الاقتصادى عام ١٩٥٧ ، الاتفـاقية الوحـدة الاقتصادية عام ١٩٥٧ التى تفرعت عنها السوق العربية المشتركة عام ١٩٦٠ ، وبجانب ذلك تقرر تنظيم اجتماعات دورية للملوك ورؤساء دول الجامعة العربية وهى ما تعرف بمؤتمرات القمة للتشاور وتنسيق السياسة العربية ، وكان أولها فى القاهرة عام ١٩٦٤ وتلاه مؤتمرات فى الاسكندرية وفى الرباط ثم مؤتمـر القمة فى الخرطوم ١٩٦٧ الذى بحث وسائل ازالة آثار العدوان ومؤتمر الرباط ١٩٦٩ لبحث وتنسيق جهود الدول العربية وحشد امكانياتها فى حركة التحرير ومؤتمر القاهرة ١٩٧٠ لتنظيم التعاون بين الأردن والمقاومة الفلسطينية بعد حوادث سبتمبر الشهيرة . غير أن معظم قرارات التضامن والقمة لم تلق الا حظـا ضـئيلا من التطبيق . وأحدث هذه المؤتمرات مؤتمر القمة الذى عقـد فى الجزائر فى يناير ١٩٧٤ الذى بحث فى تنسيق جهود العرب بعـد حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

أما التيار الثانى فهو تيار الوحدة السياسية الفورية بين جميع أبناء الأمة العربية ، وقد اشتد ساعد هذا التيار بعد نمو الوعى القومى لدى الجماهير فضلا عن نضوجه لدى المثقفين بعد نكبة فلسطين . وقد ساعد على نموه أيضاً انتشار التعليم فى البـلاد العربية بعد استقلالها ، نمو الوعى السياسى فى ظل الأحزاب والتنظيمات السياسية التى قامت على أساس برامج قومية (مثل

البعث العربى الاشتراكى فى سوريا ، حزب عصبة العمل القومى فى لبنان ، الاتحاد الاشتراكى فى مصر) أو برامج شبه قوميــة (مثل الحزب القومى السورى والحزب الدستورى التونسى) .
وقد تلقى تيار الوحدة الفورية دفعة قوية بقيام الوحدة بين مصر وسوريا فى دولة واحدة هى الجمهورية العربية المتحدة وبانتشــار الثورات التحررية فى كثير من البلاد العربية والتى سبق أن أشرنا اليهـــا .

وقد أســفر انتصار مبــدأ الوحدة عن التسليم رســميا بأن الشعوب العربية فى الدول العــربية المستقلة هى جـزء من الأمة العربية وأنها كلها تتوق الى قيام الوحدة بينها ، وقد نصت معظم الدساتير العربية الحديثة على ذلك . وكان الدستور السورى الذى صدر عام ١٩٥٠ هو أول دستور عربى ينص عــلى أن الشعب السورى جزء من الأمة العربية . ونجد ذات المعنى فى الدســتور الأردنى (١٩٥٣) ودستور مصر المؤقت (١٩٥٦) ودســـتورها الدائم (١٩٧١) ودستور اتحــاد الجمهــوريات العــربية ١٩٧١ (مصر ، سوريا ، ليبيا) .

٢ ـ ايديولجية جديدة : ارتبط الفكر القومى فى المرحلتين السابقتين بايديولوجية قومية ذات مضمون سياسى فقط فارتبطت القومية بالديمقراطية السياسية على غرار الحركات القومية فى أوربا فى القرن الماضى . أما فى المرحلة الحاضرة فقد ظهر تيار اتجه الى ربط القومية بالديمقراطية الاجتماعية على غرار ما هو سائد فى الحركات القومية فى البلاد النامية التى سبق أن تعرضنا لهـــا .

ولذلك تحددت التطلعات القومية بالتحرر من النفوذ الأجنبى فى الداخل والخارج ، واصلاح المجتمع اجتماعيا واقتصاديا بالقضاء على الامتيازات الطبقية واذابة الفوارق بين الطبقات اقتصاديا ، واقامة وحدة سياسية تضم كل أبناء الأمة العربية . وهذه الأهداف هى ما يعبر عنها بشعار : ديمقراطية ، اشتراكية ، وحدة . وقد تبنت كل الثورات التحرية التى قامت فى العالم العربى هذه المبـادىء (مصر ، سوريا ، العراق ، ليبيا ، السودان ، الجزائر ، اليمن الشمالى واليمن الجنوبى) بدرجات متفاوتة .

غير أن أنصار الاتجاه الوحدوى اختلفوا فى ترتيب تنفيـذ وتحقيق هذه الأهداف . فان البعض يجعل للوحدة السياسية مركز الصدارة بحيث يتم داخلها الاصلاح الاجتماعى والديمقراطى ، وعلى أساس هذا التصوير قامت الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ . والبعض الآخر يرى أن مطلب الوحدة السياسية لا يتحقق الا بعد الانتهاء من اقامة حياة ديمقراطية سليمة داخل كل دولة عربية وبعد تطوير المجتمع اجتماعيا واقتصاديا . وهذا التصوير هو الذى ساد عند قيام اتحاد الجمهوريات العربية عام ١٩٧١ . وهذا التصوير يعبر عنه أحيانا بشعار « وحدة الهدف قبل وحدة الصف » .

وتتميز الايديولوجية القومية الوحدوية أيضا بأنها تتمسك بالقيم العربية الأصيلة ولا تسمح لنفسها بنقل أفكار غريبة عن البيئة العربية . فهى لا توصد بابها أمام التجـارب الاشتراكية

المعاصرة ولكنها لا تستعير منها الا بالقدر الذى يتفق مع البيئة العربية والتراث العربى والتقاليد العربية بحيث يظل الطابع العربى هو الطابع البارز فى الايديولوجية العربية .

٣ ــ **أسلوب تحقيق الأهداف القومية** : يذهب بعض أنصار الفكر الوحدوى الى أن تحقيق الأهداف القومية يجب أن يتم بأسلوب ديمقراطى وبصورة متدرجة . ويذهب معظمهم الى أن حالة التخلف التى وصل اليها المجتمع العربى بالمقارنة بالشعوب الأخرى لا يسمح بالانتظار حتى يتم الاصلاح التدريجى ولذلك يتعين أن يتم الاصلاح طفرة واحدة بأسلوب ثورى . ويرون أنه بالنظر الى عدم نضوج الوعى لدى الجماهير العربية وضعف نفوذ الفئات المثقفة وقلة عدد أفراد الطبقة المتوسطة فانه يستحيل قيام ثورة شعبية بقيادة أبناء الطبقة المتوسطة تتولى القيام بالاصلاحات المطلوبة وتحقيق الأهداف القومية ، ولذلك فان القوة الوحيدة القادرة على القيام بالثورة واجراء الاصلاح هى القوات المسلحة . وبالفعل قامت هذه القوات بالثورة فى البلاد العربية ، ولما كان هدفها هو تغيير بناء المجتمع سياسيا واجتماعيا واقتصاديا فانها لقيت تأييدا واسعا من الجماهير والطبقة الوسطى. وقد نجحت بعض هذه الثورات فى تحقيق بعض الأمانى القومية واتخذت خطوات تنفيذية فى سبيل الاصلاح الاجتماعى والاقتصادى وعجز بعضها الآخر عن تحقيق الأمانى المعقودة عليه وتعثر فى تنفيذ ما وعد به من اصلاحات بل وانحرف بعضها

— فى بعض الفترات — عن اتجاهاته القومية أو الاصلاحية مما اقتضى تصحيح مسار الثورة .

وبالنظر الى أن الايديولوجية القومية الجديدة تحتوى على مضمون اجتماعى فان زعامة الحركة القومية انتقلت من أيدى السياسيين القوميين الـذين كانوا ينـادون بأيديولوجية ذات مضمون ديمقراطى سياسى الى زعامات جديدة تؤمن بالقومية ذات المضمون الاجتماعى .

ومن ناحية أخرى اختلف الرأى حول أسلوب تنفيذ الوحدة العربية . فبعضهم تأثر بالنظرية الألمانية التى ترى أن عضـوية الشخص لأمة معينـة أمر خارج عن ارادته ولذلك يرون فـرض الوحدة السياسية بالقوة . ويرى أنصار هذا الرأى من الكتاب العرب أن اتمام الوحدة العربية يحتاج الى « بسمارك » عربى يشرع السيف فى وجه أعداء الوحدة . غير أن هذا الرأى لم يعد مقبولا لأنه ينافى المبدأ الديمقراطى ويناقض مبدأ السيادة الشعبية — أهم أسس الوعى القومى والحركة القومية — الذى يتطلب رضا الأفراد بالوحدة وتحمسهم لها . وخير وسيلة للتحقيق من هذه الارادة هى الاستفتاء الشعبى . وهذا الرأى هو السائد لدى الكثرة الساحقة من الكتاب العرب الآن . وعلى أساس الاستفتاء الشعبى تمت الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ ، وعلى أساسه أيضا قام اتحاد الجمهوريات العربية ١٩٧١ . وهذا الأسلوب لا ينبذ فقط فكرة فرض الوحدة بالقوة بل ينبذ أيضا فكرة قيام الوحدة

بالاقتصار على موافقة حكام البلاد العربية ويتطلب موافقة الشعوب .

٣ ـ محاولات الوحدة

قطعت كثير من الدول العربية شوطا بعيدا ــ اختلفت درجاته باختلاف البلاد ــ فى تحقيق بعض التطلعات القومية من تحرر من النفوذ الأجنبى واصلاحات اجتماعية واقتصادية فى ضوء المضمون الاجتماعى للأيديولوجية القومية . ومن ناحية أخرى جرت محاولات لاتمام الوحدة بصورة جزئية بين بعض البلاد العربية كنواة للوحدة الشاملة . وأهم هذه المحاولات هى :

١ ـ الجمهورية العربية المتحدة : أعلنت الوحدة بين مصر وسوريا فى أول فبراير ١٩٥٨ ثم قامت الدولة الجديدة بموافقة شبه اجماعية بين الشعبين المصرى والسورى فى ٢٢ فبراير ١٩٥٨. وقد أخذت هذه الوحدة صورة الدولة البسيطة حيث زالت الشخصية الدولية لكل من مصر وسوريا وحلت محلها شخصية قانونية واحدة هى الدولة الجديدة ذات سيادة واحدة وجنسية واحدة ودستور واحد وحكومة واحدة . غير أن هــذه الوحدة انتهت بانفصال سوريا فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ لعدة أسباب أهمها : عدم نضوج الوعى القومى ، اختلاف البناء الاقتصادى والإجتماعى (سوريا كانت تعيش فى ظل نظام اقتصادى حر بينما مصر كانت تأخذ بنظام اقتصادى يقوم على توجيه الدولة والتخطيط الشامل). لم يكن الوعى القومى هو الأساس الذى قامت عليه الوحدة بل

كانت العوامـــل السياسية المحلية والدولية هي الدافع الرئيسي للوحدة . ولذلك سرعان ما ظهرت النزعات الاقليمية والحزبية فقوضت أركان الوحدة . وكان الانفصال ضربة لآمال العرب .

٢ ـ **الاتحاد القومي الهاشمي :** قام بين المملكة الاردنيـــة الهاشمية والمملكة العراقية في ١٤ فبراير ١٩٥٨ في صورة اتحاد كونفدرالي (استقلالي) احتفظت فيه كل من الدولتين بشخصيتها الدولية المستقلة وبسيادتها على أراضيها وبنظام الحكم القائم فيها . وقام هذا الاتحاد بارادة حكام البلدين كرد فعل لقيـــام الجمهورية العربية . ولذلك سرعان ما انهار هذا الاتحاد بقيام ثورة ١٤ تموز (يولية) ١٩٥٨ في العراق التي قضت على الحكم الملكي .

٣ ـ **اتحاد الدول العربية المتحدة :** قام بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة اليمنية في ٨ مارس ١٩٥٨ ، وأخذ صورة الاتحاد الكونفدرالي فاحتفظت كل دولة بشخصيتها الدولية وسيادتها ، ولكنه اقترب من الاتحاد الفيدرالي لأنه نص على توحيد التمثيل السـياسي والقنصلي وتوحيد السياسة الخارجيـــة والدفاعية والاقتصادية والثقافية . وقد انتهى في ديسمبر ١٩٦١ بعد ما تبين عدم جدية اليمن في تنفيذه .

٤ ـ **الاتحاد المركزي :** أعلن عن قيامه بين مصر وسوريا والعراق في ١٦ أبريل ١٩٦٣ بعد ثورة سوريا في ٧ مارس ١٩٦٣ وثورة العراق في ٨ مارس من نفس السنة ، وكلتاهما كانت ذات اتجاهات وحدوية . غير أنه لم ير النور بعد ما تبين أن الوحدة

كانت مجرد شعار يرفعه الزعماء مجاراة لمشاعر الجماهير وتخلصا من مشاكل محلية .

٥ ـ **اتحاد الجمهوريات العربية :** أعلن عن قيام هذا الاتحاد بين مصر وسوريا وليبيا فى ١٧ أبريل ١٩٧١ ، وطرح على الاستفتاء العام فى البلاد الثلاثة فى أول سبتمبر ١٩٧١ فوافقت عليه شعوبها بما يشبه الاجماع (٩٦٫٤ ٪ فى سوريا ، ٩٨٫٦ ٪ فى ليبيا ، ٩٩٫٩ ٪ فى مصر) .

وقد أخذ صورة الاتحاد الكونفدرالى فاحتفظت فيه كل دولة بشخصيتها الدولية وسيادتها وقصر اختصاصات الاتحاد على مسائل معينة وردت على سبيل الحصر فى المادة ١٤ من دستور الاتحاد وما عداها يظل من اختصاص الجمهوريات . ولكن المادة ذاتها نصت على العمل على توحيد السياسة الخارجية والاقتصادية والدفاعية والثقافية والقانونية وانشاء المؤسسات واللجان التى تتولى هذه المهمة . وباب عضوية الاتحاد مفتوح للجمهوريات العربية التى تؤمن بالوحدة العربية وتعمل من أجل تحقيق المجتمع العربى الاشتراكى الموحد (م ٩) . وقضى هذا الدستور بأن نظام الحكم فى الاتحاد هو ديمقراطى اشتراكى (م ٤) . ونظم الفصل الثانى من الباب الثانى المؤسسات الاتحادية فناط السلطة التنفيذية بمجلس رئاسة الاتحاد الذى يتكون من رؤساء الجمهوريات (م ١٥) ومجلس وزارى يعينه مجلس الرئاسة (م ٢٣) ، وناط السلطة التشريعية بمجلس أمة اتحادى ينتخب

أعضاءه مجالس الشعب فى الجمهوريات ، وناط السلطة القضائية بمحكمة دستورية يعين أعضاءها مجلس الرئاسة (م ٤٦) وتختص بالفصل فى دستورية قوانين الجمهوريات من حيث مطابقتها لدستور الاتحاد وقوانينه والبت فى المنازعات التى تثور بين سلطات الاتحاد وسلطات الجمهوريات (م ٤٨) . وقراراتها واجبة النفاذ فى جميع أراضى الجمهوريات (م ٥٠) . ونص دستور الاتحاد على أن اللغة العربية هى اللغة الرسمية (م ٧) ، والشريعة الاسلامية مصدرا رئيسيا للتشريع (م ٦) .

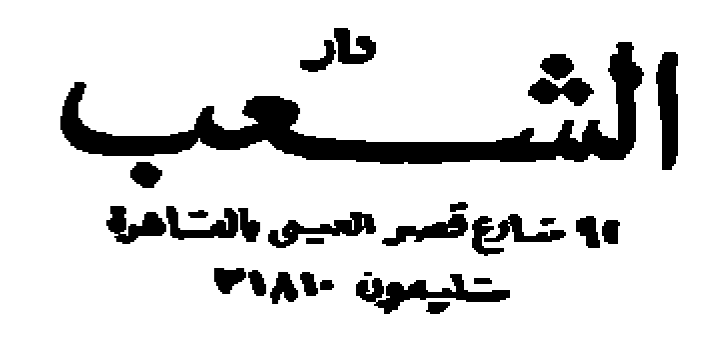
وقد أصدر مجلس رئاسة الاتحاد عدة قرارات تستهدف تحقيق التكامل الاقتصادى بين دول الاتحاد منها :

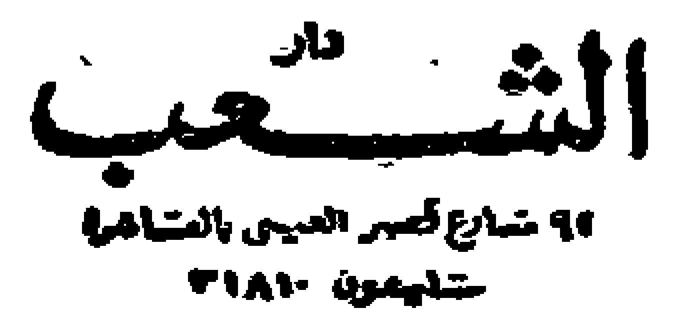
القرار رقم ١٢ سنة ١٩٧١ بالموافقة على عدة مشروعات منها: انشاء مؤسسة الاتحاد العربى لاعادة التأمين ، وثانية للنقل البحرى وثالثة للنقل الجوى ورابعة للتجارة وخامسة للتمويل وسادسة للمقاولات وسابعة للسياحة وثامنة للصيد البحرى ، وأعطى أولوية التنفيذ للمشروعات الثلاثة الأولى . والقرار رقم ١٣ سنة ١٩٧١

بالموافقة على مشروعات بانشاء مؤسسة للاتحاد العربى للصناعات النفطية وثانية للحديد والصلب وثالثة للصناعات الحربية ورابعة للتنمية الزراعية وخامسة للآلات والتجهيزات والجرارات الزراعية وصدر القرار رقم ١٤ سنة ١٩٧١ فى شأن تسهيل انتقال السلع والخدمات ورءوس الأموال بين الدول الأعضاء .

ومما هو جدير بالذكر أن الأحكام الأساسية لاتحاد الجمهوريات ــ وهي تعتبر بحكم دستور الاتحاد (م ٧٠) المصدر الأساسى الذى استمد منه الدستور مبادئه وفى ضوئه تفسر أحكامه ــ قد سجل أن « الهدف من قيام اتحاد الجمهوريات العربية هــو العمل على تحقيق الوحدة العربية الشاملة ، وحماية الوطن العربى والدفاع عن استقلاله وبناء المجتمع العربى الاشتراكى والعمل على تحرير الأراضى العربية المحتلة ودعم حركة التحرر الوطنى العربية وحركات التحرر الوطنى فى العالم » . وسجلت ديباجــة اعلان بنغازى (١٧ أبريل ١٩٧١) أن جمهورية السودان « ستبقى فاعلة فى النضال الوحدوى ، وذات صلة وثيقة باتحاد الجمهوريات العربية حتى يتسنى لها الانضمام اليه » .

والأمل معقود على هذا الاتحاد فى تحقيق الأهداف التى أعلن عنها ، وهى أهداف الأمة العربية جمعاء ، لأن نجاحه سيؤدى من ناحية الى سعى الجمهوريات العربية الأخرى الى الانضمام اليه كما حدث حينما قويت بروسيا فانضمت اليها بقيــة الدويلات الألمانية ، وسيؤدى من ناحية ثانية الى تحوله الى اتحاد فيدرالى (مركزى) فتختفى الشخصية الدولية لكل من الدول العربية وتحل محلها شخصية دولية واحدة ذات منعة وقوة ترد للعرب كرامتهم وتطهر أرضهم من رجس الاحتلال وتعيد فلســطين الى أهلها العرب وتخلص مجتمعهم من اسار التخلف والتبعية .


دار
الشعب
٩٢ شارع قصر العيني بالقاهرة
تليفون ٣١٨١٠


دار الشعب
٩٠ شارع قصر العيني بالقاهرة
تليفون ٣١٨١٠